



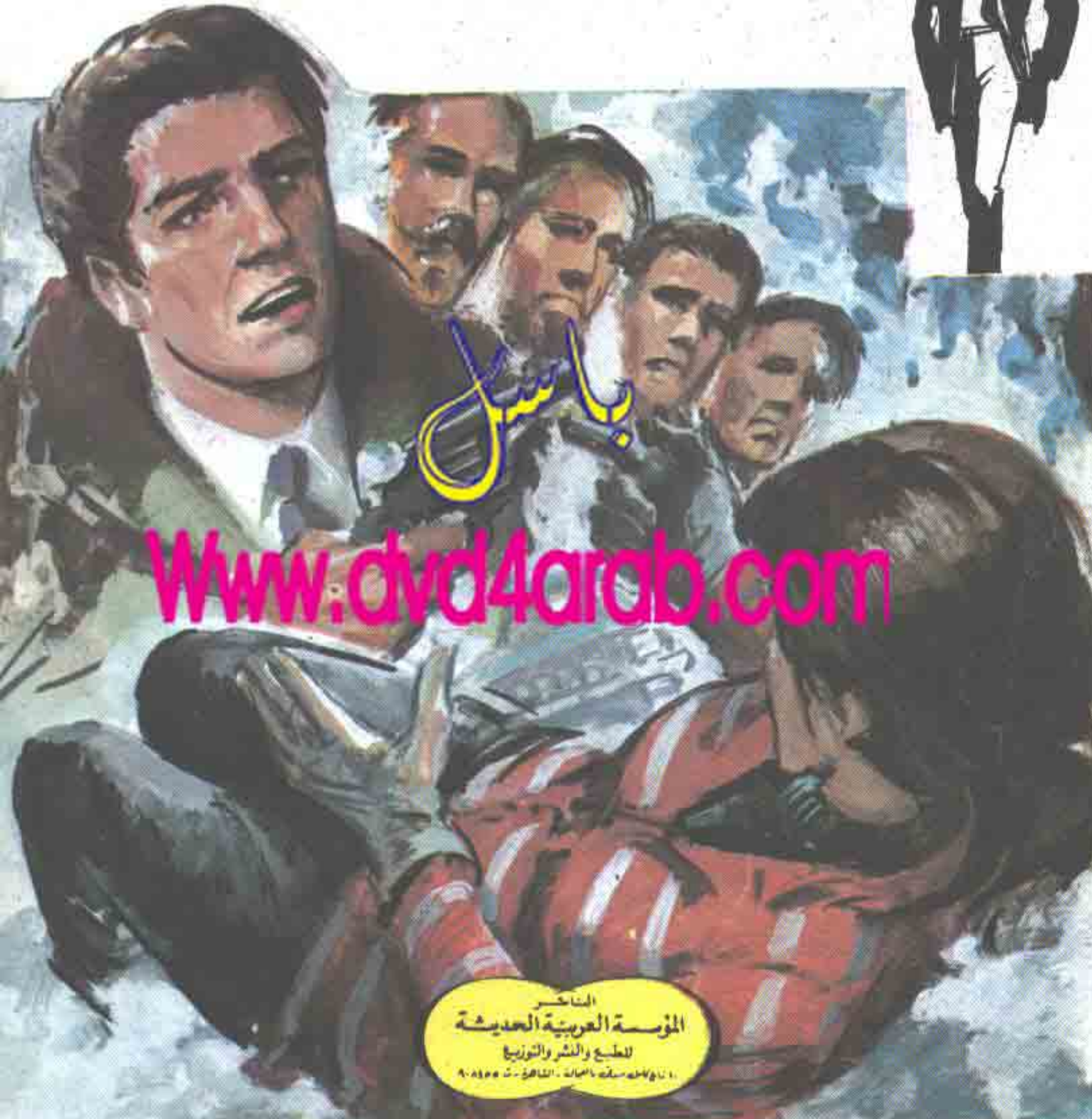
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

لهيب الثلج

٤٦



رجل المستحيل • لهيب الثلج • ٤٦ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة



بالتسجيل

www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٨٠٨٥٥٥ - القاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاهرة
بالأحداث
المثيرة

٤٦

الثمن في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكيًا في سائر
الدول العربية
والعالم

لهيب الثلج

- كيف توصل (أدهم صبرى) إلى مكان زميلته ، التي فقدتها وسط ثلوج (موسكو) ؟
- ماذا سيفعل الرفيق (ياكوف) ، لمواجهة (رجل المستحيل) في بلاده ؟
- ترى .. أينجح (أدهم) في إنقاذ (منى) ، أم يلقي حتفه وسط لهيب الثلج ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الرصاصة الذهبية

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١ - الأصدقاء ..

توقفت سيارة سوداء صغيرة ، أمام السفارة المصرية في (موسكو) ، وهبط منها رجل بدين الجسم ، طفولى الملامح ، وتبعه رجل طويل ، ممشوق القوام ، أسرع كلاهما يبرز أوراقه للجندي السوفيتى ، المكلف حراسة المبنى ، ثم تقدما إلى السفارة بخطوات سريعة ، ولقد استقبلهما السفير المصرى بنفسه ، وقال الطويل يقدم نفسه إلى السفير :

— المقدم (حازم عبد الله) من المخابرات المصرية يا سيدي .
السفير .. وهذا زميل (قدرى) ، خبير التزييف فى الإدارة .
ابتسم السفير ، وهو يلمح توثر (قدرى) ، وتلفته حوله ، وقال فى هدوء :

— تسعدنى مقابلتكما ، إنه ينتظركما فى شوق .
تركزت نظرات (قدرى) على وجه السفير ، وهتف فى لهفة :

— أين هو يا سيدي ؟

جاء من خلفه صوت هادئ ، يقول في وُد :

— خلفك يا صديقي البدين .

استدار (قدرى) فى سرعة وخفة ، لا يتناسب مع حجمه

الضخم ، وهتف فى سعادة :

— (أدهم) ؟ .. ما أسعدنى الآن !!

ثم اندفع نحو (أدهم صبرى) ، وعانقه فى وُد ، وربّت

على كتفيه فى قوة ، فضحك (أدهم) وهو يقول مداعبًا :

— يا إلهى !! هل يسيرون القطارات داخل السفارة ؟

أطلق (قدرى) ضحكة عالية مجلجلة ، وصاح فى مرح :

— أوحشتى دعاباتك يا صديقى العزيز .. كيف حالك ؟

التفت (أدهم) يصافح (حازم) فى حرارة ، وهو

يقول :

— فى خير حال أيها الأصدقاء .. كيف حالكما أنتم ؟

أجاب (حازم) فى رصانة :

— لقد أتينا هنا فى مهمة رسمية يا صديقى .. فنحن تحت

إمرتك ، حتى نستعيد (منى) .

بعث ذكر (منى) مزيجًا من الحنان والحزن فى عيني

(أدهم) ، وقال فى هدوء ، وإن نَمَّ صوته المختلج عن انفعاله :

— حمدًا لله على سلامتكما يا صديقى .. سنتناول وجبة

خفيفة ، حتى نسد جوع صديقنا (قدرى) ، ثم أقصّ عليكما

القصة كلها فى مكتب سيادة السفير ، ونحن نشرب الشاي على

الطريقة المصرية .

ثم استعاد صوته رزائته ، وهو يردف فى حزم :

— هيا بنا .

جلس رجال المخابرات الثلاثة يشربون الشاي المصرى ، فى

حجرة السفير ، واعتدل (أدهم) وهو يقول :

— أنتم تعرفان بالطبع كيف بدأت القصة ، بإلقاء القبض

على شبكة تجسّس فى مصر ، وهروب زعيمها (أندريه جريج)

إلى (موسكو) ، قيل الإيقاع بالشبكة ، ثم كلّفتى المخابرات

المصرية الحضور إلى هنا ، وإلقاء القبض على ذلك الوغد ،

وإعادةه إلى القاهرة .. ولقد حاولنا ذلك بالفعل ، ولكن ذلك

الوغد تأمر ضدنا ، وتسبّب ذلك فى وقوعنا فى فخّ أعدته لنا

سلطات مكافحة التجسّس السوفيتية ، بقيادة الرفيق

(ياكوف) ، الذى ألقى القبض علىّ ، وأطلق رجاله النار

على (منى) ، وتم اعتقالى فى (سييريا) (*) .
صمت (أدهم) عند هذه النقطة ، وكأنه يستعيد ذكرى
هذه اللحظات ، ثم استطرد :

— وفى (سييريا) استسلمت أنا تماماً للأسر ، وأنا أظن
أن (منى) قد لقيت حتفها ، ثم عرفت بمحض الصدفة أنها
ما زالت على قيد الحياة ، فى مكان ما فى (موسكو) .. وهنا
قررت الفرار من أكثر معتقلات العالم هولاً .. وبعد مخاطر
رهبة ، وصلت أنا وذلك الوغد (أندريه) إلى سفارتنا هذه ،
وتم ترحيله إلى القاهرة ، واعتبرت المهمة منتهية وناجحة عند
هذه النقطة ، ولكننى قررت عدم العودة إلى القاهرة ، إلا بعد
استعادتي (منى) (**)

صمت (أدهم) مرة أخرى ، ثم رفع عينيه إلى زميله ،
وقال فى هدوء :

— ولن يكون ذلك الأمر بالهين ، أو البسيط يا صديقى ..
سيكون أمراً أشد هولاً مما سبق ، حتى أننى أكاد أشتّم رائحة
جليد يلتهب فى (موسكو) .

(*) راجع الجزء الأول (العين الثالثة) .. المغامرة رقم (٤٤) .

(**) راجع الجزء الثانى (القضبان الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

تبادل (قدرى) و (حازم) نظرات باسمة ، ثم رفع (قدرى)
حقيبة صغيرة ، وضعها فوق المنضدة ، وفتحها وهو يقول :
— أصدقك القول يا صديقى ، أن السوفيت يفتشون حقائب
زوارهم بدقة متناهية ، وبنوع من الشك الغريزى ، يجعل من
المستحيل تقريباً تهريب أى سلاح إلى داخل بلادهم ، ولكن ...
ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتيه ، وهو يستطرد :

— ولكنهم أفرجوا عن محتويات حقبتى الصغيرة هذه ،
دون أن تراودهم ذرة واحدة من الشك .

وأدار الحقيبة المفتوحة لتواجه (أدهم) ، وأردف :
— وهى لا تحوى كما ترى سوى معجون حلاقة ، ومعجون
أسنان ، ولعبة من البلاستيك ، وعدد من زجاجات العطر ،
وبعض الأقلام ، وأوراق الكتابة .

سأله (أدهم) ، وهو يتسم فى هدوء :

— هل تنفجر الأقلام ؟

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، وقال :

— لقد انقضى عهد الأقلام المتفجرة منذ زمن طويل
يا صديقى .. إن ما تحويه هذه الحقيبة هو مجموعة من أفضل
مبتكرات القسم العلمى بالإدارة .

ثم التقط اللعبة البلاستيكية ، وأخذ يحل أجزاءها في مهارة ، وهو يقول :

— لو أننا حللنا هذه اللعبة الطريفة ، وأعدنا تركيبها بصورة أخرى ، فسنجدها عبارة عن مسدس من بلاستيك مقاوم للحرارة ، وأربع خزانات ذخيرة ، تحوى الواحدة عشر رصاصات قاتلة .

كان قد انتهى من تركيب المسدس البلاستيكي ، فناوله إلى (أدهم) ، الذى أخذ يفحصه في إعجاب ، على حين واصل (قدرى) حديثه قائلاً :

— أما زجاجات العطر ، فهي نوع متطور من صبغات الشعر ، يمكنها أن تبدل لون شعرك في لحظة واحدة ، كما يمكن إزالتها بمحلول ، يتم إنتاجه بإذابة أوراق الكتابة في كوب ماء صغير .. ومعجون الحلاقة عبارة عن بولى إيثيلين سائل ، يمكنك من صنع أقنعة مشابهة تماماً لبشرة الوجه .. أما معجون الأسنان ، فهو نوع من صبغات البشرة ، يعطيه اللون المناسب ، بإضافة أحبار الأقلام ، التى تحوى قاعدتها في الوقت نفسه مجموعة مثالية من عدسات العيون الملونة .

اتسعت ابتسامته ، وهو يردف في سعادة :

— إنها حقبة متكاملة يا صديقى ، والحقبة نفسها عبارة عن أحدث جهاز تزييف في العالم ، ومعه أفضل كمبيوتر للتزوير .

عقد (أدهم) حاجبيه في تساؤل ، وغمغم :

— كمبيوتر للتزوير ؟!

أشار (قدرى) إلى صدره ، وقال في مزح :

— إنه أنا يا صديقى ، في خدمتك حتى نستعيد (منى) معنا .

أطلت نظرة امتنان من عيني (أدهم) ، ونهض إلى النافذة ، وكأنه يحاول إخفاء انفعاله ، وساد الصمت طويلاً في الحجرة ، ثم استدار إليهم (أدهم) ، وقال في صوت هادئ قوى :

— لقد أثبتنا لى أن الأصدقاء المخلصين ، هم خير هبة من الله (سبحانه وتعالى) في هذه الحياة .. وبمعاونتكما سنستعيد (منى) .. سنستعيدها يا رفاق .

٢ - في ظلام الليل ..

دفع الرفيق (ياكوف) باب حجرتة في حلق واضح ،
وجلس إلى مكتبه وهو يهمهم بكلمات ساخطة ، مما حدا بزميله
(إيفانوف) إلى سؤاله مبتسمًا :

— ماذا بك ؟

صاح (ياكوف) في غضب :

— هؤلاء الأطباء الحمقى في الإدارة ، إنهم يقفون في
طريقي .. إننى أفكر جدًّا في إرسالهم إلى (سيبيريا) .
أخفى (إيفانوف) ابتسامته في صعوبة ، وهو يسأله :

— ألم تستعد المصرية ذاكرتها بعد ؟

صاح (ياكوف) في حلق :

— نعم .. إنها تدعى أنها لا تذكر شيئًا ، وهؤلاء الأطباء
الحمقى يؤيدون قولها .

تبدلت ملامحه ، وهو يقول في غيظ :

— ولكننى واثق من أنها تخدعنى .. شعور قوى في أعماق
يؤكد لى ذلك .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال (إيفانوف) ، وهو
ينظر في ساعته :

— لقد انتصف الليل ، سأعود إلى منزلى .

نهض (ياكوف) ، وقال :

— حسنًا .. أعتقد أننى أحتاج أيضًا إلى بعض الراحة .

في طريقهما إلى منزليهما المتجاورين ، قال (إيفانوف) :

— أما من أخبار عن رجل المخابرات المصرى ؟

زفر (ياكوف) في ضيق ، وقال :

— يميل المسئولون إلى فكرة هروبه خارج البلاد ، ولكننى

واثق من أنه مازال هنا ، في قلب (موسكو) .

رفع (إيفانوف) حاجبيه في دهشة ، وغمغم :

— هل لديك دليل قوى ؟

هزَّ (ياكوف) رأسه نفيًا ، وقال :

— ولاحتى دليل ضعيف ، ولكن تعاملى السابق معه ،

يؤكد لى أنه لن يغادر (موسكو) ، ما لم يستعد رفيقته .

هتف (إيفانوف) في دهشة :

— ولكنك أخبرتنى أنه يظنها في عداد الأموات .

تهَّد (ياكوف) ، وقال :

— لقد عرف بشكل أو بآخر .. فلقد أخطأنا نحن ، حينما أرسلنا الفريق الطي الذي أنقذ حياتها إلى (سييريا) أيضًا ، ولا ريب أن أحدهم أخبره بالأمر ، دون أن يدري .

صمت (إيفانوف) لحظة ، ليستوعب كلمات (ياكوف) ، ثم هزَّ كفيه ، ومطَّ شفتيه وهو يقول :

— لن يمكنه الوصول إليها بأي حال من الأحوال ، فهي تحت حراسة مشددة ، داخل إدارة مكافحة التجسس ذاته .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة تجمع بين السخرية والمرارة ، وقال :

— مع مثل هذا الرجل ، لا يوجد مستحيل أيها الرفيق ، هل نسيت أنه نجح في الفرار من (سييريا) ؟

ساد الصمت بينهما تمامًا بعد هذا التعليق ، حتى توقفت بهما السيارة أمام منزل (ياكوف) ، فهبط منها في صمت ، ودون أن يتبادل تحية المساء مع زميله ، وأسرع إلى منزله .. ولم يكذ يغلق بابه خلفه ، حتى هرعت إليه ابنته الصغيرة ، وتعلقت بعنقه وهي تصيح في مرح :

— هل أحضرت لي بعض الحلوى يا أبتاه ؟

رَبَّت على شعرها الأشقر الناعم في حنان ، ثم التقطت من جيب معطفه كيسًا من الحلوى ، ناولها إيَّاه وهو يقول في عاطفة :

— مشاكل الدنيا كلها لا يمكن أن تسينى إيَّاه يا (مارتينا) .

التقطت الصغيرة كيس الحلوى في سعادة ، وقبلت والدها ، ثم أسرعَت إلى أمها تريحها الكيس ، كما اعتادت كل مساء ، وابتسمت والدتها وهي تقول لـ (ياكوف) :

— ستفسد أسنانها بحلواك هذه .

ابتسم في هدوء ، وهو يعلّق معطفه فوق المشجب ، ثم توجه إلى حجرة مكتبه ، فسألته زوجته :

— ألن تتناول طعام العشاء ؟

أجاب في صرامة :

— لا شهية لدى .. اذهبي أنت والصغيرة إلى الفراش ، وسأعمل أنا بعض الوقت ، ولا أحب أن يزعجني أحد .

ثم غاب داخل مكتبه ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وأضاء الحجرة ..

لم يكذ الضوء يغمر حجرة مكتبه ، حتى سمع من خلفه صوتًا هادئًا ، يقول :

— كيف حالك يا عزيزى الرفيق الجنرال ؟

استدار (ياكوف) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ،
واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يهتف فى صوت مختق تملؤه
الدهشة :

— أنت ؟

كان أمامه (أدهم صبرى) ، يتسم فى هدوء ، ويصوب
إليه مسدسه المصنوع من البلاستيك .

مرت فترة طويلة من الصمت ، وكلاهما يحدق فى وجه
الآخر ، حتى غمغم (ياكوف) فى حلق :
— كيف وصلت إلى هنا ؟.. كيف تجاوزت حراس
المبنى ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول فى هدوء :

— لم تعد مثل هذه الأمور تثير فى نفسى القلق .
تبادل الاثنان نظرات تفيض بالتحمدى ، ثم عاد
(ياكوف) يسأله :

— ماذا تريد ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

— منى .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وهو يغمغم فى خيرة :

— (منى) ؟

قال (أدهم) :

— رفيقتى ، التى تحتفظون بها .

ابتسم (ياكوف) فى دهاء ، وقال :

— اسمها (منى) إذن ، هذه أول معلومة أحصل عليها
بشأنها .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) فى هدوء :

— لم أكن أحب أبدا أن أناصبك العداء أيها الرفيق
(ياكوف) ، فأنت رجل ممتاز ، تؤدى عملك فى مهارة
وإخلاص ، وأنا أيضا أؤدى عملى ، ولا توجد خصومات بين
دولتنا ، وكل ما أسعى إليه هو أن أعود بزميلتى إلى القاهرة .

قال (ياكوف) فى صرامة :

— لقد عملتما ضد الاتحاد السوفيتى ، ونحن لا نغفر

هذا .

مطأ (أدهم) شففيه ، وقال :

— لقد عملنا فى الاتحاد السوفيتى ، وليس ضده

يا صديقي ، ولم نكن نهدف إلى أى مواطن سوفيتي ، أو أى هدف هنا ، وإنما كانت مهمتنا تنحصر في إلقاء القبض على جاسوس أساء إلى دولتي ، وإعادته إليها ، لنتم محاكمته هناك .
قال (ياكوف) في غضب :

— كان يمكن لدولتكم طلب ذلك رسميًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— لست أميل إلى الخوض في المتاهات السياسية

يا صديقي .. ولكن لو أننا فعلنا ذلك ، لكنكم ستلقون القبض عليه حقًا ، ولكنكم ستحتفظون به هنا إلى الأبد ، وسيتعارض هذا مع حاجتنا إلى المعلومات التي لديه .

لم يجر (ياكوف) جوابًا عند هذه النقطة ، فقد كان يعلم أن (أدهم) محق ، ولكنه عاد يقول في عناد وصرامة :

— لا يمكنني أن أسلمك رفيقتك ، ولن يمكنك الوصول إلى مكانها قط .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— إنني أعلم أين هي ، وكيف يمكنني استعادتها .

هتف (ياكوف) في حزم :

— أتخذاك .

اتسعت ابتسامته (أدهم) ، وأطل من عينيه بريق مخيف ، وهو يقول :

— حسنًا أيها الرفيق .. إنكم تحتفظون بها في القسم الطبي ، التابع لإدارة مكافحة التجسس ، وهو المبنى الصغير ، المكون من طابقين ، إلى يسار مدخل الإدارة ، ويرأسه الجنرال طيب ، (رومانوف) ، وهو رجل طويل ، رياضي ، صارم للغاية .

تدلت فك (ياكوف) السفلية ، أمام هذا السيل من المعلومات السرية ، الذي يتدفق من فم (أدهم) ، ولكنه سرعان ما تمالك جأشه ، وقال في غضب :

— حتى وإن كنت تعلم أين هي ، فلن يمكنك الوصول إليها .. ما من أجنبي يمكنه أن يطأ أرض مكتب مكافحة التجسس السوفيتي بإرادته .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال في برود :

— ربما لن أنجح في ذلك ، ولكن الرفيق الجنرال (ياكوف) سيفعل .

وفي حركة مفاجئة رشيقة ، انقض (أدهم) على (ياكوف) ، ولكمه لكمة صاعقة ، ألقت به أرضًا ، وسلبت منه الوعي .

٣ - الرفيق المزيّف ..

استيقظت زوجة (ياكوف) في قلق ، ونظرت في ساعتها ، فوجدت عقاربها تشير إلى الثانية صباحاً .. فغادرت فراشها ، وتوجّهت إلى غرفة مكتب زوجها ، في محاولة لدعوته لبعض النوم ، قبل أن تشرق الشمس .. ولكنها لم تكد تغادر حجرتها ، حتى رآته واقفاً وسط ردهة المنزل المظلمة ، مرتدياً زيّه الرسمي ، ويلتقط معطفه من المشجب ، فسألته في قلق :

— إلى أين يا (ياكوف) ؟

لم تلمح ملامحه جيّداً وسط الظلام ، ولكنه أجابها في خشونة :

— هناك عمل عاجل يحتاج إلىّ في الإدارة .

بدت لها لهجته عجيبة ، ولكنها ازدردت لُعابها ، وعادت تسأله في استسلام :

— هل ستغيّب كثيراً ؟

ارتدى معطفه ، وهو يقول في صرامة :

— ربّما .

ثم فتح باب المنزل ، وسألها :

— هل نامت (مارتينا) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .. إنها الثانية صباحاً .

لوّح لها بكفه ، على نحو لم تعتده من قبل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم أسرع إلى سيارته ، وأدار محرّكها ، وانطلق بها مبتعداً .. ومن خلف نافذة منزله ، أطلّت زوجته في مزيج من القلق والخيرة ، ثم غمغمت في شحوب :

— عجباً !! إنه يبدو مختلفاً تماماً هذه الليلة .

رفع جندي الحراسة ، في إدارة مكافحة التجسس السوفيتية فوهة مدفعه الرشاش ، في وجه السيارة التي غمرته أضواؤها المبهرة ، وهتف في صوت جهورى صارم :

— قف من أنت ؟ .. كلمة سرّ الليل .

صكّ مسامعه صوت غاضب يقول :

— أنا الذي ألقنك إيّاها أيها الغبي .

ميّز الجندي وجه الرجل ، الذي هبط من السيارة ، وقرن

ملاحه بصوته المميز ، فأسرع بخفض قوّهة مدفعه
الرشاش ، ، ويرفع يده بالتحيّة العسكرية ، قائلاً في احترام :
— طاب مساؤك يا سيّدى الرفيق الجنرال (ياكوف) ،
معدرة ، فلم أتوقّع

اقترب منه (ياكوف) ، وحّدجه بنظرة قاسية صارمة ،
وهو يقاطعه قائلاً :

— لم تتوقّع ماذا أيها الرفيق الجندى ؟.. إن واجبى يحتم
على أن أفاجئكم بزيارة ليلية من آن إلى آخر .

ارتجف الجندى ، وهو يتخذ وقفة عسكرية ثابتة ، على
حين عبّر (ياكوف) بوابة المبنى بخطوات واسعة ، وسار نحو
الجناح الطيّ ، وصاح في وجه حارسه ، وهو يعبر بابه :
— أيقظ الجنرال (رومانوف) ، واطلب منه أن يلحق بى

في حجرة الفتاة المصرية .
أسرع الحارس يطيع الأمر ، على حين أشار (ياكوف) إلى
حارس آخر في غطرسة ، وقال :
— تقدّمنى إلى حجرتها أيها الجندى .

تحرك الجندى أمامه فى سرعة ، حتى توقّف أمام حجرة فى
نهاية الممرّ ، فدفع (ياكوف) بابها ، وقال للحارس فى
صرامة :



ثم فتح باب المنزل ، وسألها :
— هل نامت (مارتينا) ؟

— لا تسمح لأحد بالدخول ، باستثناء الرفيق
(رومانوف) .

ثم أغلق الباب خلفه ، وأضاء الحجره ، ووقف لحظة يتأمل
(منى) التى بدت كملاك نائم ، وهى ترقد مغمضة العينين ،
فوق فراش أبيض يتوسط حجرة نظيفة ، أنيقة .. وتبدلت ملامح
(ياكوف) فى لحظة ، وتلاشت الصرامة من وجهه تمامًا ،
وحل محلها شعور جارف بالحنان والعاطفة ، وغمغم وهو
يتأملها فى ارتياح :

— هانحن أولاء قد التقينا أخيرًا يا عزيزتى .

اقترب (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية (ياكوف) ،
من (منى) فى هدوء ، ووقف يتأملها لحظة ، فى حنان بالغ ،
ثم مدّ أنامله ، وتحسّس جبينها فى حبّ ، ففوجئ بها
ترتجف ، وتفتح عينيها على أنساعهما ، وتحدّق فى وجهه بمزيج
من الدهشة والخوف ، ثم هتفت فى عصبية :

— ماذا تريد منى ؟

ابتسم (أدهم) فى حنان ، وهمس :

— لا تدعى تلك الملاح تخدعك يا عزيزتى .. إنه أنا ..

(أدهم) .

عقدت حاجبيها فى خيرة أدهشته ، وغمغمت وكأنها تردّد
اسمًا لم تسمعه من قبل :

— (أدهم) !؟

أدهشته خيرتها ، فأمسك كتفيها فى حنان ، وهمس :

— أنا (أدهم صبرى) يا عزيزتى .. ألم تتعرّفى صوتى ؟ ..
ألم تفصح عني نبراتى ؟

اختلط الخوف فى عينيها بمزيج من الخيرة والقلق ،
وانعكس قلقها على صوت (أدهم) ، وهو يسألها :

— ألا تذكرين هذا الاسم مطلقًا ؟

هزّت رأسها نفيًا فى خيرة ، وغمغمت فى استكانة :

— كفّوا عن تعذيبى .. بالله عليكم كفّوا .

اعتدل (أدهم) عاقدًا حاجبيه ، فقد كانت هذه هى المرأة
الأولى ، التى يكشف فيها أمر فقدانها لذاكرتها ، ولقد حطّم
هذا حُطّته تمامًا .. فقد كان يعتمد على تعاونها التام ، أما
والحال هكذا ، فهو يحتاج إلى إقناعها بهدفه أولًا ..

مال بوجهه نحوها ، وآلمه أن ابتعدت عنه بوجهها فى
خوف ، ولكنه كبت مشاعره كعادته ، وقال فى حنان
صارم :



مال بوجهه نحوها ، وآله أن ابتعدت عنه بوجهها ..
 — حسنا .. دَعِينَا من أمر ذاكرتك الآن ، واستمعي إليَّ
 جيّدًا .. إن الهدف من قدومي إلى هنا هو
 بتر عبارته فجأة ، واستعارت ملامحه صرامة
 (ياكوف) ، وانتصب واقفًا ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ،
 حينما سمع صوت رتاج الباب وهو يفتح ، وكانت (منى)
 تتطلع إليه في دهشة ، عندما ظهر الرفيق (رومانوف) أمام
 الباب ، وابتسم وهو يقول :
 — مرحبًا أيها الرفيق (ياكوف) .. ما الجديد الذى
 دفعك إلى مثل هذه الزيارة الليلية المفاجئة ؟
 عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال فى صرامة ، مقلّدًا صوت
 (ياكوف) ، ولهجته :

— لقد طال تعاملكم مع هذه الفتاة ، دون أن نصل إلى
 نتائج تستحق كل هذا الوقت الضائع .
 عقد (رومانوف) حاجبيه بدوره ، وقال فى غضب :
 — هذه أمور طيّبة محضة أيها الرفيق (ياكوف) ، وهى من
 صميم تخصّصى ، ولن أسمح لك بـ
 بتر عبارته بفتة ، حينما غمغمت (منى) فى ذهول :
 — لست أفهم شيئًا .. لست أفهم شيئًا .
 ثم استدارت إلى (أدهم) ، وهتفت فى خيرة :
 — لماذا يخاطبك باسم (ياكوف) ؟ .. ألم تتحدّث إليّ منذ
 لحظات بالعربية ، وأخبرتني أنك تدعى (أدهم صبرى) ؟ ..
 من تكون حقًا ؟ .. من أنت ؟ .. وماذا تفعلون لى ؟
 كانت تتحدّث إليه باللغة العربية ، والتى لا يعنى منها
 (رومانوف) حرفًا واحدًا ، ولكن ذكر (أدهم صبرى)
 جعله يحدّق فى وجه هذا الأخير بذهول ، ثم أسرع يده إلى
 مسدّسه ، وهتف فى صوت مختق :
 — يا للشيطان !! أنت لست (ياكوف) .. أنت
 مزيف .. مزيف .

٤ - الصِّراع ..

استيقظت زوجة الرفيق (ياكوف) فزعة ، على صوت جلبة ، لحيل إليها أنها تنبعث من حجرة مكتب زوجها .. فأسرعت إلى هناك ، وألصقت أذنها بباب المكتب ، ولكن الجلبة كانت أعلى من أن تحتاج إلى إنصات خاص ، ولقد صحبتها همهمة ساخطة ، مما أثار رجفة فزع في جسد الزوجة ، فطرقت الباب في تردد ، وقالت :

— (ياكوف) .. هل عدت إلى هنا ؟

أجابها هتاف مختق ، وصوت سقوط جسم ما على الأرض .. فاستجمعت شجاعتها ، ودفعت باب المكتب ، وأسرعت تنير الحجرة .. ولم تكد تفعل حتى انبعثت من أعماقها شهقة قوية ، وهتفت في ذعر :

— (ياكوف) !! من فعل بك هذا ؟

كان زوجها يرقد على أرض الحجرة ، موثق اليدين والقدمين ، مكبم الفم ، يصارع في شراسة للتخلص من قيوده ، فأسرعت إليه في لهفة ، ونزعت كمامته وهي تهتف :

— من فعل بك ذلك ؟

استثشق (ياكوف) الهواء في نهم ، ثم صاح في غضب :
— إنه ذلك الشيطان المصرى اللعين !!
سألته في توثر ، وهي تحمل قيوده بأصابع مرتجفة :
— أى شيطان مصرى ؟

انتزع معصميه من القيود ، وأسرع يحل وثاق قدميه ، وهو يقول في حنق :

— لقد أفقدنى وعي ، ولا ريب أنه ينتحل شخصيتى الآن ، فهو شيطان فى التكر .

ثم قفز واقفا على قدميه ، وتناول سماعة الهاتف ، وصاح وهو يدير قرصه :

— ولكنه لا يعرف كلمة سر الليل ، وسأجعل هذه المعلومة الصغيرة تؤدى به إلى حتفه .

كان حارس إدارة مكافحة التجسس السوفيتية يقف في ثبات ، حينما أسرع إليه ضابط الأمن فى الإدارة ، وهتف به فى انفعال :

— هل جاء الرفيق (ياكوف) إلى هنا ؟

أجابته الجندى ، وهو يشير إلى سيارة (ياكوف) :

— إنه بالداخل أيها الرفيق الضابط ، وما هى ذى

سيارته

قاطعه الضابط في صرامة :

— لا تسمح له بالخروج ، إنه شخص مُزَيَّف .

اتسعت عينا الجندي ذهولاً ، وغمغم :

— ولكن !؟ ...

أراد أن يقول أن الوجه والصوت والسيارة تؤكد أنه
(ياكوف) الحقيقي ، ولكن الضابط قاطعه في صرامة :

— نفذ الأوامر فحسب أيها الجندي .

ثم أسرع إلى الجناح الطبي ، فهزّ الجندي كتفيه ، وقال :
— حسناً سأنفذ الأوامر فحسب .

أما ضابط الأمن ، فقد أسرع إلى الطابق الذي فيه حجرة
(منى) ، وصاح في جندي الحراسة هناك :

— هل الرفيق (ياكوف) هنا ؟

اعتدل الحارس في وقفته ، وأشار إلى حجرة (منى) ،
قائلاً :

— إنه داخل حجرة الفتاة المصرية ، بصحبة الرفيق
الجنرال (رومانوف) يا سيدي .

اقترب الضابط عن ابتسامة شرسة ، وغمغم :

— هكذا !؟

ثم انتزع مسدسه ، وأشار إلى الجندي ، قائلاً في صرامة :
— اتبعني أيها الجندي حاملاً مدفعك الرشاش ، سنلقى
القبض عليه هناك .

تطلع إليه الجندي في ذهول ، وغمغم :

— معذرة أيها الرفيق الضابط .. ولكنني لا أحب أن أزج
بنفسي في انقلاب عسكري .

استشاطت ملامح الضابط غضباً ، وصاح من بين أسنانه :
— أي انقلاب هذا أيها الأحمق ؟ هذا الذي ينتحل صفة
الرفيق (ياكوف) شخص مُزَيَّف .. ولقد اتصل الرفيق
الحقيقي ، ونبّهني إلى ذلك .

تردّد الجندي مرة أخرى ، وغمغم :

— ومن أدراك ؟ فقد يكون الحقيقي يا سيدي ..

هتف الضابط في غضب :

— الرفيق (ياكوف) الحقيقي وحده يعرف رقمي
السري ، واسم الكودي أيها الغبي .

ويبدو أن هذه المعلومات حقاً على درجة بالغة من
الخطورة .. فقد اقتنع الجندي تماماً ، وشهر مدفعه الرشاش ،
وتبع الضابط إلى حجرة (منى) ..

لم يطرق الضابط باب الحجره ، وإنما دفعه ، واندفع معه
الجندي إلى الداخل ، شاهرين سلاحيهما .. وهتف الضابط في
صرامة :

— سأطلق النار عند

بتر عبارته دفعة واحدة ، حينما طالعه عينا (مني)
الداهليين ، المليئين بالخيبة والدهشة ، وانتقل بصره إلى
حيث يرقد جسد الرفيق (رومانوف) ، وسط الحجره ،
وهتف :

— يا للشيطان !! ماذا حدث هنا ؟

ثم أسرع يحاول إنعاش (رومانوف) ، الذي فتح عينيه في
صعوبة وتلفت حوله صائحاً :

— أين ذلك الشيطان ؟ .. أين ذهب ؟

هتف الضابط :

— ماذا حدث بالضبط يا سيدي الرفيق الجنرال ؟

نهض (رومانوف) ، ونفض الغبار عن ثيابه ، وقال في

حنق :

— حينما جئت إلى هذه الحجره ، كان هناك شخص يشبه

تماماً الرفيق (ياكوف) ، ولكنه لم يكن هو .. لقد عرفت

ذلك من حديثه للفتاة .. فأخرجت مسدسي محاولاً اعتقاله ،
إلا أنه تحرك فجأة وبسرعة البرق ، وأطاح بمسدسي ، ثم
لكمني ، ولم أدر بعدها ماذا حدث .

استدار الضابط إلى (مني) ، وسألها في خشونة :

— ماذا حدث بعد ذلك ؟

لم تنطق بكلمة ، ولكنها أشارت إلى النافذة في صمت ،
وهي تنظر إلى (رومانوف) في خيرة ، فهتف هذا الأخير :

— فهمت .. لا ريب أنه فر من النافذة .

ثم التفت إلى جندي الحراسة ، وصاح في صرامة :

— ضع حراسة مشددة على هذه الحجره ، وأمام

نافذتها .. ولا تسمح لسواي بالدخول ، أو الخروج منها .

ثم أشار إلى ضابط الأمن ، وقال :

— هيا بنا .. هناك الكثير مما يجب علينا أن نفعله الآن ..

وسيكون عملنا الأول هو أن نمنع ذلك الشيطان المصري من

مغادرة المكان .

٥ - الشيطان ..

أشعل (ياكوف) سيجارته ، وأخذ ينفث دخانها ، وهو يدور حول مكتبه ، في إدارة مكافحة التجسس ، وعلى مقربة منه جلس (إيفانوف) يتشاءب ، وينفث دخان سيجارة مماثلة ، على حين ألقى (رومانوف) نظرة على ساعته ، وقال في ضجر :
— إنها الخامسة صباحاً ، ولم يظهر أى أثر بعد هذا الشيطان .

غمغم (إيفانوف) :

— هذا أمر محير حقاً .

هتف (ياكوف) في غضب :

— ولكن أين ذهب ؟.. جندى الحراسة يؤكد أنه أخبره كلمة السر ، وأنه لم يغادر المبنى ، لا هو ولا أى شخص آخر .. ولقد فحصنا أوراق جميع الموجودين هنا ، وفتشنا كل شبر في الإدارة ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

قال (رومانوف) في حنق :

— هل تبخر !؟

ساد الصمت لحظة ، ثم استدار (ياكوف) إلى (رومانوف) ، وسأله :

— قصّ علىّ مرة أخرى ما حدث .

عاد (رومانوف) يقصّ عليه كيف دخل إلى حجرة (منى) ، وكيف تحدّثت هي إلى (أدهم) في دهشة ، مما جعله يكشف زيفه ، وكيف انقضّ عليه (أدهم) ، وأفقده الوعي بسرعة خارقة .. واستمع إليه (ياكوف) في انتباه ، على الرغم من أنها المرة العاشرة ، التي يطلب منه فيها إخباره بالقصة ذاتها ، ثم غمغم وكأنه يحدث نفسه :

— هذا يؤكد إذن أن الفتاة لم تستعد ذاكرتها حقاً ، وإلا

فما كشفت على هذا النحو .

عقد (رومانوف) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— لقد أخبرتك بذلك ألف مرة أيها الرفيق .

تطلّع إليه (ياكوف) بلا انفعال ، ثم غمغم :

— أعتقد أنه من الأفضل أن نبلغ الكرملين بما حدث (*) .

* الكرملين : مقر الحكم السوفيتي

تتحج (رومانوف) ، وقال :

— لست أؤيد هذه الفكرة أيها الرفيق (ياكوف) .

استدار إليه (ياكوف) ، وسأله في حدة :

— ولماذا ؟

أجابه (رومانوف) في هدوء :

— لأنه سيكون من المخجل أن نبلغهم باختفاء جاسوس ،

داخل إدارة مكافحة التجسس ، دون أن نعثر له على أثر ..

سيكون هذا أقرب إلى الكوميديا المبكية .

عقد (ياكوف) حاجبيه في سخط ، على حين قال

(إيفانوف) :

— هذا صحيح .

هتف (ياكوف) في غضب :

— لا بدّ إذن من العثور عليه .

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال (رومانوف) :

— إلى أن يتم هذا ، هناك إجراء طي وأمنى عاجل ، لا بدّ

من اتخاذه أولاً .

سأله (ياكوف) في عصبية :

— وما هو ؟

أجابه (رومانوف) في هدوء :

— أن نبعد الفتاة المصرية عن هنا .

تصلبت يد (ياكوف) في طريقها لسيجارتته ، على حين

حدّق (إيفانوف) في وجه (رومانوف) بدهشة ، وتابع هذا

الآخر في هدوء :

— لقد عرف هذا الشيطان مكانها ، ولا ريب أن هذا

سيصنع حولها نوعاً من التوتر ، يغرق علاجها ، ويؤخر عملية

شفائها ، واستعادتها لذاكرتها .

خيّم الصمت طويلاً ، ثم ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة

على شفتي (ياكوف) ، وغمغم في هدوء :

— إذن فهذا هو ما تقترحه .

أجاب (رومانوف) في هدوء :

— هذا ما أراه صحيحاً .

نفث (ياكوف) دُخان سيجارته في هدوء وبطء ، ثم خفض

عينيه ، وقال :

— لا بأس ، ولكن هناك أمراً يثير خيّرني .

أسرع (إيفانوف) يسأله :

— أي أمر هذا ؟

عقد (ياكوف) كفيه خلف ظهره ، وأخذ يتحرك في
الحجرة صامتًا بعض الوقت ، ثم قال دون أن يواجه أيًا من
الرجلين بوجهه :

— لقد أثار هروب ذلك الشيطان خيرتي منذ البداية ..
فالنافذة التي — من المفروض أنه — هرب منها ، تطل مباشرة
على فناء الإدارة ، حيث يتواجد دائمًا جنود الحراسة .. ثم إنه
من العجيب عدم محاولته اصطحاب الفتاة ، التي خاطر بحياته
من أجلها .

غمغم (إيفانوف) :

— وماذا يعنى هذا ؟

رفع (ياكوف) عينيه إلى (رومانوف) ، وتابع وكأنه لم
يسمع (إيفانوف) :

— وأنت أمرت رجالك بحراسة الحجرة ، وبتشديد
الحراسة على النافذة ، ثم تطلب الآن اصطحاب الفتاة إلى
خارج المكان .. كل هذا يثير خيـرتي أيها الرفيق
(رومانوف) .

عقد (رومانوف) حاجبيه في غضب ، وقال :

— أفصح عما تعنيه أيها الرفيق .

رفع (ياكوف) سبّابه أمام وجهه ، وقال وهو يتسم
نفس الابتسامة الغامضة :

— أعنى أن المكان الوحيد ، الذى لم نبحث فيه عن ذلك
الشيطان هو حجرة المصرية ؛ لأنك أمرت الجميع بمغادرتها ،
وطلبت من الجنود عدم السماح لأى كائن سواك بدخولها .
نهض (إيفانوف) من مقعده ، وغمغم فى توثر :

— ماذا يعنى هذا ؟

أشار (ياكوف) إلى (رومانوف) ، وقال فى هدوء :

— إن ما أعنيه ببساطة يا عزيزى (إيفانوف) ، أن
الواقف أمامنا ليس (رومانوف) الحقيقى ، وإنما هو ذلك
الشيطان المصرى (أدهم صبرى) .

وفى لمح البصر ، انتزع (رومانوف) مسدّسه ، وصوّبه
إلى الرجلين ، وهو يتسم ابتسامة ساخرة ، بدت مثيرة
للدهشة وسط ملامحه الصارمة ، وقال فى هدوء :

— أحسنت يا عزيزى (ياكوف) .. أنت حقًا أكثر
الشياطين عبقرية فى علم الاستتاج .. إن كل كلمة نطقت بها
كانت حقيقة .. حقيقة تمامًا .

٦ - الخروج من الجحيم ..

ساد صمت ثقيل عجيب في حجرة (ياكوف) ، إلى أن قطعته (إيفانوف) في ذهول :

— مستحيل !!

نفث (ياكوف) دخان سيجارته في هدوء عجيب ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، قائلاً :

— لقد أخبرتك من قبل ، أنه مع هذا الشيطان لا يوجد المستحيل يا (إيفانوف) .

هتف (إيفانوف) ، ولم يزايله ذهوله بعد :

— ولكن الملاح والصوت و

اختنقت الكلمات في حلقه ، فمنعته من الاستمرار ، على حين ابتسم (أدهم) ، وقال :

— لقد كانت الفكرة وليدة اللحظة يا صديقي ، لقد كشف (رومانوف) شخصيتي ، فاضطرت لهاجته .. ولما كنت أتوقع وصول (ياكوف) الأصلي في أية لحظة ، أسرعت

بعمل قناع يحمل وجه (رومانوف) ، وانتحلت شخصيته ، ووضعت (رومانوف) في صوان حجرة (منى) ، ولن يستعيد وعيه قبل ساعة على الأقل .. ثم خدعت ضابط الأمن بقصة ملفقة ، تحمل الكثير من الحقيقة ، وأمرت بإغلاق الحجرة ، وعدم السماح لأحد بدخولها ، حتى لا يكشف أحد وجود (رومانوف) الفاعل الوعى ، إلا بعد اصطحابي (منى) إلى الخارج و

ضحك (ياكوف) فجأة ، وقاطع (أدهم) قائلاً :

— كم أتمنى لو أنك واحد منا أيها المصري .

نظر إليه (إيفانوف) في دهشة ، على حين استطرد هو ، دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) :

— إنني أحترم العباقرة دائماً في مجالنا هذا ، وأعلم جيداً أن الظروف قد تضطر بعضنا للمصادمة مع البعض الآخر ، وفي هذه الحالة يسعى كل منا للنصر والتفوق ، وهذه هي قواعد اللعبة في عالمنا .

نفث دخان سيجارته مرة أخرى ، وعاد يتابع :

— قد نتحارب طويلاً ، ولكن حربنا دائماً تكون حرباً نظيفة .. فكل منا يسعى من أجل وطنه ، ولكن قواعد اللعبة قد تضطرنا للتخلي عن هذه النظافة من أجل النصر .

سأله (أدهم) في برود :

— ما الذى تهدف إليه من وراء هذه المحاضرة الطويلة ؟

ابتسم (ياكوف) ، وقال :

— أريد أن أقول إننى قد كشفت خدعتك منذ ساعة على الأقل ، ولكننى كنت أنتظر منك أن تقع فى هذا الخطأ ، وتطلب الحصول على الفتاة بأية حجة كانت ، ولكن فترة الانتظار هذه لم تضع عبثاً .

وبرقت عيناه ببريق شيطانى ، وهو يردف قائلاً :

— لقد اكتسبت خبرة كافية ، من صراعاتى الطويلة معك أيها الشيطان .. وأصبحت لدى القدرة على استنتاج خطواتك القادمة ، وأساليبك الشيطانية المعقدة .. وحينما كشفت لعبتك ، طلبت من ضابط الأمن إحاطة حجرة مكتبى بالجنود ، وإلقاء القبض عليك فور خروجك من هنا ، ما لم أصحبك أنا ، أو (إيفانوف) .. وطلبت من جنود العاصمة إحاطة السفارة المصرية ، وعدم السماح لأى كائن من كان بدخولها ، أو الخروج منها ، تحت ادعاء وجود قبلة فى المكان .. وهكذا تجد نفسك بين شقى الرُحى .. فالخروج من الإدارة أصبح مستحيلاً ، وحتى لو نجحت فيه ، فستجد كل

الطرق مسدودة أمامك ، ولن يمكنك العودة إلى السفارة .. كما لن يمكنك عبور أى من حدود الاتحاد السوفيتى .. فلقد ضاعفت الحراسة على الحدود ثلاث مرات ، ولن يمكنك عبور نقطة واحدة من نقاط الحدود ، دون تصريح خاص منى .
العقد حاجباً (أدهم) فى غضب ، على حين أطلق (ياكوف) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— لقد وقعت أخيراً أيها الشيطان المصرى ، ولن يمكنك الخروج من هذا الجحيم قط .

صمت عجيب ذلك الذى ساد فى الحجرة ، فى الدقيقة التى تلت حديث (ياكوف) ..
(ياكوف) كان يحدّق فى وجه (أدهم) فى ظفر ، وثقة ..
(إيفانوف) كان يحاول استيعاب هذا السيل من الألغاز ، والاستنتاجات ، الذى انهال عليه ..
أمّا (أدهم) فقد نمت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قطع الصمت ، قائلاً فى هدوء :
— لحظة رائعة أيها الرفيق (ياكوف) ، ولكنها تحوى ثغرة واضحة كالعادة .

هتف (ياكوف) في حدة :
— أتحدّاك .

ابتسم (أدهم) ، وقال :
— إننى أقبل التحدى يا عزيزى (ياكوف) ، ولكن
تذكّر أن (رومانوف) وخده هو المنوع من مغادرة
مكتبك .

ابتسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :
— لا توجد قوة فى الأرض ، يمكنها إجبارى أنا ، أو
(إيفانوف) على معاونتك .

قال (أدهم) فى برود :
— لن أطلب معاونة أحد كما أيها الرفيق ، ولكنك
ستعاوننى دون أن تدري .

عقد (ياكوف) حاجيه ، وقال فى عصيّة :
— مستحيل !!

وفى هدوء شديد ، نزع (أدهم) القناع الذى يحمل
ملاح (رومانوف) عن وجهه ، فتراجع (ياكوف)
و (إيفانوف) فى ذهول ، فقد كانت ملاح أدهم تحت
القناع ، تحمل وجه (ياكوف) تماماً ..

احتبست الكلمات فى حلق (إيفانوف) من شدة
الذهول ، على حين غمغم (ياكوف) :
— هذا مستحيل !!

قال (أدهم) فى برود :
— كنت أتوقّع أن أحتاج إلى ملاحك مرّة أخرى ،
فاحتفظت بها و

وفجأة .. انقضّ (ياكوف) على (أدهم) ، وهو
يهتف :
— لن تهزمنى مرّة أخرى .. لن تفعل .

وفى توافق عجيب ، انقضّ (إيفانوف) بدوره على
(أدهم) ، وقرّر السوفيتيان هزيمة (رجل المستحيل) هذه
المرّة مهما كان الثمن .

من الضروري أن نذكر أن رجال مكتب مكافحة
التجسس السوفيتى ، يتلقون تدريبات رفيعة المستوى ، تجعل
من الواحد منهم مقاتلاً ، لا يشقّ له غبار ، ويدعى مدربوهم
أن الرجل الواحد قادر على هزيمة ستة رجال أشداء بذراعيه
العاريّتين ..

ولقد كان (أدهم) يواجه اثنين منهما ..

وكان الموقف حقاً عسيراً ..

في قتال (أدهم) السابق مع هؤلاء الرجال ، كان يعتمد على ما يسمى بالحرب الخاطفة ، والهجوم المباغت .. أما هذه المرة فقد كانا هما البادئين ..

كان (أدهم) يمسك مسدسه ، ويمكنه ببساطة متناهية إطلاق النار عليهما ، ولكنه لم يفعل .. ولو أنه فعل .. لو أنه أطلق النار على رجلين أعزّلين من السلاح ، ما كان هو (أدهم صبرى) الذى نعرفه ..

لقد غاص (أدهم) إلى أسفل ، متفادياً لكمّة (ياكوف) ، ثم مال يساراً متجنباً ضربة (إيفانوف) ، وانتصب واقفاً على حين غرة ، وهوى على فكّ (إيفانوف) بلكمة ساحقة ، ثم أعقبها بأخرى فى معدة هذا الأخير ، ودار على عقبيه كراقص باليه محترف ، وركل (ياكوف) فى أنفه ، ثم هوى على فكّه بلكمة من يسراه ، تبعها ثانية يميناه ، على عنق (ياكوف) .. وانتهى الصراع .

وقف (أدهم) لحظة يتأمل الرجلين ، اللذين فقدوا



قال (أدهم) فى برود :

— كنت أتوقع أن أحتاج إلى ملاحك ، مرة أخرى ، فاحفظت بها ..

وعيهما ، وحرّك رأسه في أسف ، ثم رفع عينيه إلى الجبال
المدلّاة من ستائر النافذة ، وغمغم :

— يؤسفنى أننى مخلوق من نوع غير قابل للاستسلام
يا عزيزى (ياكوف) ، ولا بدّ لي من أن أحاول ، والله وحده
يعلم إن كان قد قدر لي الخروج من هذا الجحيم الثلجى أم لا ؟

٧ — نار بلا دُخان ..

طرق ضابط الأمن باب مكتب (ياكوف) ، وانتظر لحظة
حتى رأى وجه هذا الأخير أمام الباب ، فهتف في انفعال :
— لقد كانت نظرتك سليمة يا سيّدى .. لقد عثرنا على
الرفيق (رومانوف) الأصلي مقيّداً في صوان حجرة الأسيرة
المصرية .

أدهشه أن سأل (ياكوف) في برود :

— أين هو ؟

صاح ضابط الأمن :

— في حجرته يا سيّدى .. وهو: ثائر للغاية ، ويريد رؤية
ذلك المحتال الشيطان ، الذى انتحل شخصيته .

خطا (ياكوف) خارج حجرته ، وأغلق بابها خلفه في
إحكام ، وقال :

— لقد ألقينا القبض عليه في الداخل ، والرفيق
(إيفانوف) يقوم باستجوابه شخصياً .. قف بنفسك لحراسة
المكان ، ولا تسمح لأى مخلوق بالدخول ، حتى أعود إليك .



غمغم ضابط الأمن في دهشة .

— أحرسه بنفسى !؟

رَبَّتْ (ياكوف) على كتفه ، وقال في صرامة :

— أنت الوحيد الذى أمنحه ثقتى الآن أيها الرفيق .

انفضحت أوداج ضابط الأمن ، ورفع يده بالتحية

العسكرية ، وهو يقول في حماس :

— إننى أفخر بذلك يا سيّدى .

ثم انتزع مسدّسه ، ورسم على ملامحه الصرامة ، ووقف

أمام الباب كالطُود .. فابتسم (ياكوف) ، وقال :

— حسنًا فعلت أيها الرفيق .

ازداد شعور الفخر في نفس ضابط الأمن ، ولكنه لم يلمح

تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على وجه

(ياكوف) ، بعد أن استدار ليبعد في خطوات سريعة ..

لم يكن (ياكوف) هذا سوى (أدهم) متكبرًا ، ولقد توجه

من فوره إلى حجرة (منى) وأشار إلى جنود الحراسة ، قائلاً :

— أحضروا هذه المصرية إلى سيارتى .

ثم أسرع إلى سيارته مرفوع الرأس في غطرسة ، وجلس في

مقعدها الخلفى يدخن واحدة من السجائر السوفيتية ،

على حين أدار السائق محرك السيارة ، وانتظر الأمر
بالانطلاق ..

مرّت لحظات ثقيلة ، قبل أن تصل (منى) ، وحولها ثلاثة

من جنود الحراسة ، احتل أحدهم المقعد المجاور للسائق ، على

حين دفعها الآخران إلى جوار (أدهم) ، على المقعد الخلفى ،

وهنا قال (أدهم) للسائق في لهجة أمرة :

— إلى الكرملين .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، وعبر بوابة المبنى ، ثم

اندفع في الطريق إلى قلب (موسكو) .. ظلت (منى)

ساكنة بعض الوقت ، وهى تنقل بصرها ما بين الطريق

والسائق ، والرجل الجالس إلى جوارها ، ثم غمغمت في

خيرة :

— ماذا يريد منى رجال الكرملين ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال بالعربية :

— يريدون إرسالك إلى موطنك .

اتسعت عيناها في ذهول ، وغمغمت وهى تتراجع في

خوف :

— من أنت ؟

• ولهجة .. ارتفع مسدس (أدهم) من جيب معطفه ،
وانجهت قوهته إلى السائق ، والجندى الذى يجلس إلى جواره ،
واستعاد (أدهم) صوته الأصل ، وهو يقول فى لهجة امرأة
ساخرة :

— جئنا .. لقد انتهت الرحلة هنا بالنسبة إليكما .
أوقف السائق السيارة فى حدة ، وصاح فى إحباط :
— يا للشيطان !!

على حين سقطت فك الجندى السفلى ، وأفلت مدفعه
الرشاش من يده ، ورفع يديه عالية ، حتى أن كفيه ارتطمتا
بسقف السيارة ، فقال (أدهم) فى هدوء :
— والآن .. اهبطا من السيارة ، وانطلقا غداً بأقصى
سرعة .

أطاع الرجلان الأمر ، وتسابقا مع الريح فى غداهما ،
حتى ابتعدا تماماً ، فغادر (أدهم) السيارة وهو يقول :
— انتقل إلى المقعد الأمامى يا عزيزتى ، فما زال أمامنا
طريق طويل ، حتى نعبّر أبواب هذا الجحيم .
غادرت (منى) المقعد الخلفى ، وانتقلت إلى المقعد
الأمامى فى استسلام ، وأخذت تحديقاً لوجه (أدهم) بخبرة
بالغة ، وهو يدير محرك السيارة ، ثم سأله :

— مَنْ أنت ؟ .. ولماذا تفعل كل هذا من أجل ؟

أوقف (أدهم) محرك السيارة ، ومال نحوها قائلاً :

— حاولى أن تتذكرى يا عزيزتى .. أنا (أدهم
صبرى) ، زميل عملك فى المخابرات المصرية .. ولقد خضنا
معا عشرات المغامرات ، فى معظم دول العالم ، وواجهنا الموت
أكثر من مرة ، مع (المافيا) ، و (سكوربيون) ،
و (الموساد) .. وتحدينا عباقرة عالم المخابرات ، مثل (حاييم
شيمون) ، (سونيا جراهام) و (جيمس براند)
و (أدوين مارشال) .. وطاردتنا سلطات الدول العظمى
كلها .. ألا تذكرين شيئاً من هذا ؟

لم تحرك ساكناً ، وهى تتأمل فى خيرة وشروء ..
كان جزء من عقلها يجد صدق هذه الأسماء والكلمات ،
على حين كان الجزء الآخر يصنع ما يشبه الضباب حولها ..
كانت تشعر بنار تستعر فى أعماق عقلها ..
نار بلا دخان ..

نار تبعث فى جسدها رجفة الثلج ..
وشعر (أدهم) بما تعانیه ، فتهد فى خيرة ، وأسند ظهره
إلى مسند مقعده ، وأغلق عينيه ..

لم يكن يدري ما ينبغي أن يفعله ، لمعاونتها على استعادة ذاكرتها ، ولكنه كان مستعداً لدفع نصف عمره من أجل ذلك .. فنجاحهما في اجتياز هيب الثلج هذا يحتاج إلى عقلها ، وإلى ذاكرتها واستجابتها ، وإلا فسيزداد الأمر صعوبة ، وسيصبح حقاً مستحيلاً ..

أورثته خَيْرته شعوراً بالاختناق ، وشعر أنه لم يعد يحتمل ملامح (ياكوف) التي يحملها ، فمد يده في هدوء ، وانتزع من فوق وجهه القناع ، الذي يحمل وجه (ياكوف) .. لم يكذب بفعل ، حتى اتسعت عينا (منى) ، وتراجعت في ذهول ..

مرق وجه (أدهم) الوسيم من عينيها ، وملاً قلبها ، ثم تصاعد مع دماثها إلى رأسها ، واختلط بنيران خَيْرتها ، التي قفزت إلى لسانها ، فوجدت نفسها تهتف في حرارة :

— (أدهم) .. يا إلهي !! أنت على قيد الحياة ؟ .. أنت حي ؟

التفت عينا (أدهم) ببريق اللهفة والأمل ، على حين صاحت (منى) وهي تتلفت حولها في خيرة :

— أين نحن ؟ .. هل نجحنا في الفرار من (ياكوف) ؟ ..

عجباً !! .. لقد انخفضت برودة الجو كثيراً ، ولم تعد الثلوج تملأ كل شيء .

انطلقت من صدر (أدهم) زفرة قويّة ، تشفت عن ارتياحه وظفره ، ثم التقط كف (منى) الرقيقة بين راحتيه ، وهتف في حرارة وحنان :

— لقد التهب الثلوج وذابت يا (منى) .. وأشرقت شمس الأمل من جديد .

ازدادت خَيْرتها ، وهي تقول :

— ماذا حدث ؟ .. هناك شيء لا أفهمه .

أطلق ضحكة أفرغ بها كل انفعالاته ، ثم عاد يدير محرك السيارة ، قائلاً :

— سأشرح لك كل شيء يا عزيزتي .. أمّا الآن فقد انبعثت في عروقي قوة جديدة ، قوة كافية لإطفاء نيران الجحيم كله .. وبلا دُخان .

باسم

٨ - بلا أمل ..

وقف ضابط الأمن في إدارة مكافحة التجسس يرتجف ،
وهو يقول محاولاً الدفاع عن نفسه :

— أى إنسان كان سيقع في الفخ نفسه أيها الرفيق
الجنرال .. لقد كان هذا الشيطان يشبهك تمامًا في صوته ،
ونبراته ، وملامحه ، وحتى أسلوبه .. أى مخلوق كان سيخدع
فيه ، حتى زوجتك نفسها .

تذكر (ياكوف) كيف أن زوجته لم تكشف خداع
(أدهم) ، وهو يتحل شخصيته ، فعقد حاجبيه ، وغمغم في
غضب :

— لقد خدعنا جميعًا .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، وقال في حنق :

— ولكن أين ذهب ؟

وقلب كفيه في خيرة ، وهو يستطرد :

— لقد أغلقنا البلاد تمامًا ، فكل من يسير في الشوارع يتم

تفتيشه في دقة ، وأخذ بصمات أصابعه .. وتطبق هذه
الإجراءات بشكل أكثر صرامة في المطارات والموانئ ، وحول
السفارة المصرية ، ولا أثر لهذا الشيطان .

هز (إيفانوف) رأسه في خيرة بالغة ، وقال :

— لقد عثر رجالنا على السيارة خاوية ، وهم يؤكدون أن
أحدًا لم يغادر السفارة المصرية قط منذ البارحة ، وكل الحدود
مغلقة في حزم ، وهو يبدو وكأنه قد تبخر مع زميلته .

غمغم (ياكوف) في حنق :

— إنهما هنا .

رفع (إيفانوف) عينيه إليه في دهشة وتساؤل ، فعاد يدق
سطح مكتبه بقبضته ، وهو يردف في غضب :

— إنهما هنا في (موسكو) ، وأقسم على ذلك .

غمغم (إيفانوف) في خيرة :

— ولكن أين ؟

رفع (ياكوف) عينيه إلى سقف الحجرة ، وقال في حنق :

— حتى أعلم يا صديقي .. لن يبدأ لي بال .

في واحد من أحياء (موسكو) العريقة ، حيث تكتظ

المناطق بالسكان ، وفي منزل صغير بسيط ، رفع (قدرى)
كوباً من الشاي إلى شفثيه ، ورشف كمية كبيرة منه جرعة
واحدة ، ثم ابتسم وهو يقول في مرح :

— لهذا كنت أتمنى عودتك إلينا يا (منى) فأنت تصنعين
أفضل كوب شاي في العالم .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

— ماذا ستفعل إذن ، حينما تذوق وجبة المكرونة التى
أعددتها لك .

اتسعت عينا (قدرى) ، واهتز جسده البدين فى سعادة ،
وهو يقول :

— يا إلهى !!! سأطلب ترقيةك عندما نعود إلى القاهرة .
لم يكذب ينطق بعبارته هذه ، حتى تولاه الندم ، فقد انطفأ
بريق المرح فجأة من عيني (منى) ، واكتست ملامحها بالحزن
وخيبة الأمل ، على حين تبادل (أدهم) و (حازم) نظرات
ذات معنى ، وقال (أدهم) :

— يبدو أن عودتنا إلى القاهرة ستأخر بعض الوقت
يا (قدرى) .. فلقد أثار هروبنا جنون السوفيت ، حتى
أنهم لا يريدون السماح لبعوضة بعبور حدودهم .

أوماً (حازم) برأسه موافقاً ، وقال :

— إنهم لم يهزمونا بعد .. فأنا و (قدرى) نقيم فى هذا
المنزل ، بجنسية يوغوسلافية ، منذ غادرت أنت السفارة
خلف (منى) .. ولقد أتيتما أنتما فور هروبكما إلى هنا ، دون
أن يراكما أحد ، ولن يفكر أحدهم فى تفتيش منازل
(موسكو) كلها ، واحداً بعد الآخر .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— إذن فقد انتقلنا من سجن إلى سجن .

هز (حازم) كتفيه فى خيرة ، وقال :

— وماذا يمكننا أن نفعل ؟ كل (روسيا) محاطة برقابة
صارمة ، ولا يمكن حتى لرجال الأمن عبور حدودها ، دون
خطاب خاص من (ياكوف) .

استدار (أدهم) إلى (قدرى) ، وسأله :

— ألا يمكنك تزوير توقيعك ؟

هتف (قدرى) فى استكبار :

— هل تسألنى يا (أدهم) ؟ .. إننى أستطيع تزوير توقيع

الشیطان نفسه ، ولكننى أحتاج إلى رؤية توقيع واحد على
الأقل .

عقد (حازم) حاجيه ، وقال :

— الحصول على توقيع من (ياكوف) أكثر صعوبة من الحصول على توقيع الشيطان نفسه .

تعلقت عيون الجميع بوجه (أدهم) ، وكأنهم يبحثون عنده عن الحل .. فعقد حاجيه بدوره ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، وظهرت على وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وقال في هدوء :

— أعتقد أن لدى وسيلة للحصول على توقيع (ياكوف) ، وتصريح حقيقى منه بعبورنا الحدود .

ارتسمت الدهشة على وجوه الجميع ، وهفت (منى) :
— تصريح منه ؟! .. هل جمع بك الخيال يا (أدهم) ؟
هز رأسه نفياً ، فيما تحيل إليهم أنه حزن عميق ، ثم أشاح عنهم بوجهه ، وقال :

— صديقنا (ياكوف) يؤمن بأن كل الوسائل مباحة للنصر ، في حرب المخابرات .. ولكنى أعتقد أن رأيه هذا سيتغير كثيراً ، حينما يذوق طعم هذه الأساليب .

تبادل الثلاثة نظرات خيرة ، ثم سأله (حازم) :

— ما الذى تنوى أن تفعله بالضبط يا (أدهم) ؟

غمغم دون أن ينظر إليهم :

— سأجبره على مخالفة ما يؤمن به ، وسأجعله يعاوننا على الهرب بنفسه .

سأله (منى) فى خيرة :

— كيف ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (أدهم) فى أسف :

— سأختطف ابنته الوحيدة .. سأختطف (مارتينا) .



٩ - الجريمة ..

عاد الرفيق (ياكوف) إلى منزله في منتصف الليل ، وقد بلغ الإرهاق منه مبلغه ، وأغلق باب المنزل خلفه ، ثم تحسّس كيس الحلوى في جيب معطفه ، ودار بعينه بحثًا عن ابنته ، وقد أدهشه أنها لم تهرع إليه كمعادتها كل مساء .. ولما طال انتظاره لها ناداها في صوت هادئ ، ولم يكذب فعل حتى برزت زوجته على باب حجرة ابنته ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، ووجهها مبلل بالدموع ، فارتجف قلب (ياكوف) خوفًا ، وهتف :

— ماذا حدث ؟ .. أين (مارتينا) ؟

لم تبس زوجته بحرف واحد ، ولكنها رفعت يدها إليه برسالة ، اختطفها من يدها ، وفضّها في لهفة ، ثم شعر بساقيه تعجزان عن حمله ، وهو يقرأ أول سطورها ، فانهار فوق أقرب مقعد إليه ، وعيناه تتابعان الرسالة ، التي تقول كلماتها :

« معذرة أيها العزيز (ياكوف) .. ابنتك (مارتينا) ستبقى ضيفة عندي ، حتى أحصل على تصريح موقع منك ، لخروجي

وزميلي من بلادك .. وأعتقد أن هذا سينهي الصراع ، وسيضع حدًا مريحًا للجميع .. (ا . ص) » .

تبّلت عينا (ياكوف) بالدموع ، على الرغم من ملامحه الصارمة ، وكانت هذه هي أول مرة ترى فيها زوجته دموعه ..

كان (ياكوف) صارمًا ، قاسيًا في كل ما يتعلق بعمله ، ولكنه كان عطوفًا ، حانيًا في كل ما يتعلق بابنته الوحيدة (مارتينا) ..

كانت هي الشيء الوحيد ، الذي مازال يحتفظ له بمشاعر آدمية ، والذي مازال قلبه ينبض من أجله ..

تصلّبت عينا (ياكوف) ، وظل صامتًا واجمًا ، حتى هتفت به زوجته :

— امنحه ما يريد يا (ياكوف) ، ودعنا نستعد (مارتينا) .

غمغم في خشونة :

— اصمتي .

صاحت في غضب :

— كلاً يا (ياكوف) .. إنني ألزم الصمت دائماً في كل ما يتعلق بعملك ، ولكنني لن أصمت فيما يخص ابنتي .

رفع إليها عينين شاردتين ، مبتلتين بالدموع ، وغمغم في
استسلام ، لأول مرة في حياته :

— إن ما يطلبه مني جريمة يا (فولجا) .. جريمة في حق
الوطن .

تفجرت من عينيها الدموع ، وهي تقول :

— كل ما يعني الآن هو ابتنا يا (ياكوف) .

نهض (ياكوف) من مقعده ، وأخذ يدور في الحجرة ،
وملامحه تشف عن حيرته ، وقلقه ، وعذابه ، ثم التفت إلى
زوجته ، وقال في هدوء ، لا يعبر عما يعمل في نفسه :

— حسنًا يا (فولجا) .. سنستعيد (مارتينا) .

اجتمع رجال المخابرات المصرية الثلاثة ، حول مائدة
صغيرة ، تتوسط زدهة المنزل ، الذي يقيمون فيه في
(موسكو) ، وكان الشرود يبدو في ملامحهم ، حتى بدت
(منى) على عتبة إحدى الحجرات ، فالتفت إليها (أدهم) ،
وسألها :

— هل نامت الصغيرة ؟

أومأت (منى) برأسها إيجابًا ، ثم قالت في ضيق :

— إنني أكره ما نفعل .. إنه يجعلنا أشبه بعصابات
(المافيا) .

غمغم (قدرى) :

— وأنا أيضًا .

نهض (أدهم) من مقعده ، وسار إلى النافذة صامتًا ،
وظل يقف أمامها بعض الوقت ، ثم قال في هدوء :

— إنها وسيلتنا الوحيدة للفرار من هنا .

قالت (منى) :

— ربّما .. ولكنني لا أميل إلى ذلك .

غمغم (أدهم) في ضيق :

— يبدو أننا نتفق جميعًا في هذا الشعور يا أصدقائي .. فعل

الرغم من قناعتى التامة ، أن هذه هي الفرصة الوحيدة أمامنا ،
إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعري ، ويورثني شعورًا بالندالة
والخسّة .

ثم استدار إليهم ، وقال في حزم :

— يبدو أن طبيعتنا تخالف طبيعة رجال المخابرات في الدول

الأخرى يارفاق .. وأعتقد أننا سنضطر لإعادة الصغيرة ،
حتى لا توصم مخابراتنا بهذه الجريمة إلى الأبد .



إلا أن بكاء الطفلة يمزق مشاعري ، ويورثني شعورًا بالندالة والخسة ..

جلس (ياكوف) في حجرة مكتبه صامتًا ، معتمدًا بذقنه على قبضتيه المضمومتين ، محدقًا في كيس الحلوى ، الذي وضعه أمامه فوق المكتب ...

كان يحاول إيجاد مخرج ، من العذاب الذي يحياه ..
كان عليه أن يختار ما بين شيئين إلى قلبه .. وطنه وابنته ..
وكان الاختيار عسيرًا ..
ولكن لا مفر منه ..

وأخيرًا .. استقر رأيه على قرار خطير ، مزق جزءًا كبيرًا من نياط قلبه ، ولكنه اتخذته في حزم شديد ، وفي صرامة مطلقة ..

وفي هدوء عجيب ، التقط سماعة هاتفه ، وأدار رقم

إدارة مكافحة التجسس .. ولم يكذ يسمع صوت محدثه من الطرف الآخر ، حتى قال :

— صِلني بالرفيق (إيفانوف) .. أنا (ياكوف) .

انتظر حتى جاءه صوت (إيفانوف) ، فقال :

— لقد اختطف الشيطان المصري ابنتي يا (إيفانوف) ،

ويطلب تصريح خروج من البلاد ، مقابل إعادتها .

ساد الصمت لحظة ، ثم هتف (إيفانوف) :

— وماذا تنوى أن تفعل ؟

أغلق (ياكوف) عينيه ، وكأنه يحاول استجماع

شجاعته ، ثم قال في انفعال :

— سأتظاهر بطاعته ، وسنعد له فخًا .

صاح (إيفانوف) :

— وابنتك أيها الرفيق الجنرال .

سالت دمة حزينة من عيني (ياكوف) ، وهو يقول في

صرامة :

— الوطن أولاً يا (إيفانوف) .

وفجأة . تسلل إلى أذن (ياكوف) صوت هادئ ،

يقول :

— إننى أحترم قرارك هذا أيها الرفيق .

أغلق (ياكوف) سماعة الهاتف فى حركة حادة ،
واستدار إلى مصدر الصوت ، وهنا تفجرت فى أعماقه مشاعر
شتى .. فهناك كان يقف (أدهم صبرى) ، عاقدا كفيه خلف
ظهره ، وإلى جواره وقفت (مارتينا) ، التى هتفت فى
سعادة :

— أرى .. لقد عدت !!



١٠ — فارس من مصر ..

رائعة هى مشاعر الأبوة ..

لقد اندفع (ياكوف) نحو ابنته ، واحتضنها فى حنان دافق ،
متناسيا وجود (أدهم) تماما ، وحملها إلى مكتبه ، والتقط
كيس الحلوى ، ودفعه إلى كفها الصغيرتين ، وهو يهتف :
— هاك كيس الحلوى يا (مارتينا) .. إن والدك لا ينساه
أبدا .

التقطت (مارتينا) كيس الحلوى فى فرح ، وضحكت وهى
تقول ، مشيرة إلى (أدهم) :
— لقد أحضر لى صديقك هذا كمية ضخمة من الحلوى ..
ولكننى كنت أثوق لحلواك هذه يا أبتاه .

رفع (ياكوف) عينيه إلى (أدهم) فى امتنان ، ثم أسرع إلى باب
مكتبه ، وهو ينوى مناداة زوجته ، ولكنه فوجئ بها تندفع إلى
الحجرة ، وتحتضن ابنتها فى قوة ، وتنهال عليها بالقبلات ، ثم ترفع
عينها إلى (أدهم) ، وتقول فى سعادة ، ودموع الفرح تملأ وجهها :

— شكرًا يا سيدي .. شكرًا .

خفض (أدهم) عينيه في أسف ، وغمغم :

— لم أستطع أن أفعل سوى ذلك يا سيدي .

تطلع (ياكوف) إلى (أدهم) في خيرة ، وسأله :

— لماذا أعدتها ؟ .. لقد كانت فرصتك الوحيدة .

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

— سأجد فرصة أخرى ولا ريب ، ولكنها لن تكون على

حساب طفلة صغيرة .

تألفت نظرة احترام في عيني (ياكوف) ، وافترب من

(أدهم) ، حتى التقت عيناهما ، ثم قال في صوت يموج

بنبرات الاحترام :

— لقد قرأت وسمعت كثيرًا عن شهامة فرسان العرب ،

ولكنها أول مرة أواجه فيها موقفًا رائعًا كهذا .

ثم مدّ يده يصافح (أدهم) ، قائلاً في قوة :

— أنت فارس حقيقي أيها المصري .. فارس من مصر .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— وأنت رجل مخلص لوطنك أيها الرفيق (ياكوف) ..

وأنا أحترم كل إنسان يخلص لوطنه .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة شاحبة ، ثم عقد حاجبيه ،
والتفت إلى زوجته ، قائلاً في حزم :

— أخذي (مارتينا) ، واتركينا وحدنا يا (فولجا) .

منحت (فولجا) (أدهم) ابتسامة امتنان ، ثم غادرت

حجرة المكتب .. وهنا عاد (ياكوف) يلتفت إلى (أدهم) ،

قائلاً :

— هل تتوقع مقابلًا لإعادتك ابنتي ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب وهو يبتسم :

— مطلقًا .. بل إنني أتوقع منك أن تحاول إلقاء القبض

على الآن .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— هذا واجبي .

اتخذ (أدهم) وقفة قتالية ، وأجاب في هدوء :

— وواجبي أنا يحتم عليّ محاولة الفرار أيها الرفيق .

ظلّ كلاهما يتطلع إلى الآخر لحظة ، ثم أشار (ياكوف)

إلى النافذة ، وقال في هدوء :

— هيّا إذن .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— هل تدعوني إلى الفرار ؟
هز (ياكوف) رأسه نفياً ، وأجاب :

— بل أدعوك إلى المحاولة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يحاول أن يفهم ما تعنيه
كلمات (ياكوف) ..

هل يحاول معاونته على الفرار ، تعبيراً عن امتنانه لاستعادته
ابنته ؟ ..

بدا هذا لـ (أدهم) مستحيلاً .. فهو يخالف طبيعة
(ياكوف) الصارمة ، التي دفعته منذ لحظات إلى التضحية
بابنته الوحيدة ، من أجل وطنه ..

ولكن (أدهم) قرّر انتهاز الفرصة ، وتراجع بالفعل نحو
النافذة في حذر .. وقبل أن يصل إليها ، اندفع (إيفانوف) فجأة إلى
الحجرة ، وخلفه خمسة جنود ، صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى
(أدهم) ، وابتسم (ياكوف) في ظفر ، على حين صباح
(إيفانوف) :

— لا تحاول القفز من النافذة أيها الشيطان المصري ..
فهناك كتيبة كاملة من الجنود السوفيت تحيط بالمنزل ، ولديها
أوامر صارمة بإطلاق النار ، على كل من يغادره دون
صحتي .. لقد وقعت هذه المرة لا محالة .

تحركت (منى) في عصبية ، داخل ردهة المنزل السوفيتي
الصغير ، وأخذت تنظر من النافذة بين حين وآخر ، في انتظار
عودة رفاقها الثلاثة .. وأخيراً وصل (قدرى) و (حازم) ،
فسألتهما في توثر :

— أين (أدهم) ؟

فتح (قدرى) شففيه لينطق ، ولكن الانفعال تملكه ،
فعاد يطبق شففيه ، وأشاح بوجهه عنها ، على حين قال
(حازم) :

— لقد ألقوا القبض عليه .

انهارت فوق مقعد قريب ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!

قال (حازم) ، وهو يقاوم انفعاله :

— لقد كنا نراقب منزل (ياكوف) ، كما طلب منا
(أدهم) .. وقبل أن يغادر هو المنزل ، أحاطت به كتيبة من
الجند .. وبعد لحظات رأينا (إيفانوف) و (ياكوف)
يغادran المنزل ، ومعهما (أدهم) ، تحت حراسة ثلثة من
الجند ، بمدافعهم الرشاشة .

جففت (منى) دموعاً سالت على خديها ، وهي تسأل :

— إلى أين أخذوه ؟

أجابها (حازم) :

— إلى إدارة مكافحة التجسس .

أحنت رأسها ، وأخذت تبكى فى صمت ، فنهض
(قدرى) من مقعده ، وربّت على كتفها ، وهو يقول :

— لا عليك يا (منى) .. هيّا أعدى حقائبك ، فلابدّ لنا
من أن ننطلق الآن ، حتى يمكننا بلوغ الحدود السوفيتية
الفنلندية قبل الفجر .

رفعت رأسها إليه ، وهى تقول فى ألم :

— هل نتركه هنا ؟

تنهّد ، وقال فى ضيق :

— ينبغي أن نفعل يا عزيزتى ، ولا تنسى أنها أوامره ، وأن
ما حدث حتى الآن يوافق لحظته تماماً .

جففت دموعها ، وهى تقول فى حزن :

— نعم .. ما زالت الحُطّة تسير على النهج الذى وضعه ..

ويا لها من حُطّة !!

١١ — وحّدك ..

جلس (أدهم) هادئاً فى حجرة (ياكوف) ، بإدارة
مكافحة التجسس ، على حين جلس (إيثانوف) يتأمّله فى
اهتمام ، ووقف (ياكوف) أمامه يدخن واحدة من سجائره ،
وكان الصمت هو المسيطر الأول على جوّ الحجرة ، حتى قال
(ياكوف) :

— أعتقد أنها النهاية أيها المصرى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— نعم أعتقد ذلك .

ثم رفع عينيه إلى (ياكوف) ، وأردف فى سخرية :

— هل كنت تعلم أن هذا سيحدث ؟

أوماً (ياكوف) برأسه موافقاً ، وأجاب :

— ليس على هذا النحو بالضبط .. ولكننى كنت واثقاً

من أنك ستعود إلى منزلى ، مادمت لم تحدّد موعد أو مكان

حصولك على التصريح ، فى خطابك الأول .. ثم إن صوتك

كان مسموعًا ولا ريب للرفيق (إيقانوف) عبّر الهاتف ، حينما
فاجأتني عودتك ، وأنا أتحدث إليه ، ولقد أغلقت أنا الخط
بحركة حادة ، كفيلة بإثارة ريبته .. وكنت واثقًا أنه سيهرع إلى
منزلي ، مع عدد كافٍ من الجنود ، وأنه لن يترك لك فرصة
للفرار هذه المرة .

ابتسم (أدهم) ، وقال متهمًا :

— أنتم عباقره يارجال مكتب مكافحة التجسس .

نظر إليه (ياكوف) في صمت ، ثم سأله في اهتمام :

— هناك أشياء عديدة ، أريد معرفتها منك .

أجابه (أدهم) في بساطة :

— مثل ما بدالك .

جذب (ياكوف) مقعدًا ، وجلس في مواجهة (أدهم)

تمامًا ، ثم سأله في اهتمام شديد :

— كيف أمكنك التسلل أكثر من مرة ، عبّر حرس منزلي

الخاص ؟ .. وكيف نجحت في اختطاف ابنتي ، والعودة بها ،

دون أن يشعر بك أحد منهم ، على الرغم من تدريبهم الفائق ،

ومهارتهم الشديدة ؟ .. وكيف

قاطعته (أدهم) في هدوء ، قائلاً :

— هذه أمور نَعُدُّها بالغة السِّرِّيَّة في دولتي أيها الرفيق ،
وإذا كنت تؤدّ معرفتها حقًا ، فسأخبرك بها وخذنا .

هتف (ياكوف) في لهفة :

— لا بأس .

قفز (إيقانوف) من مقعده ، وصاح :

— مهلاً أيها الرفيق الجنرال .. إنه يحاول خداعنا مرة

أخرى .

هتف (ياكوف) في عصبية :

— وماذا يمكنه أن يفعل ؟ .. لقد جرّدناه من كل ما يحمله ،

ويدهاه مقيدتان بالأغلال ، وسأقيم حراسة مكثفة على حجرتي

و

قاطعته (إيقانوف) في توثر :

— نحن لا ندرى شيئًا من أساليب المخابرات المصرية أيها

الرفيق الجنرال ، ومن الجائز أنه يحمل بعض الأدوات السِّرِّيَّة

في أزرار معطفه ، أو بطانته ، أو

قاطعته (ياكوف) هذه المرة ، وهو يقول :

— حسنًا .. حسنًا .. سينزع ملابسه كلها ، ويرتدى

ملابس من هنا ، ثم أجمع به وخذنا .. وعليك إحاطة الحجرة

كلها ، بما في ذلك نوافذها بالجند ، ومُرهم بإطلاق النار عليه ، إذا ما حاول الفرار .

ثم استدار إلى (أدهم) ، وسأله في عصبية :
— هل توافق على هذا ؟

ابتسم (أدهم) في هدوء غامض ، وأجاب :
— بالطبع .. إنه يتوافق مع رأيي تمامًا .

جلس (ياكوف) يتأمل (أدهم) طويلًا ، بعد أن أصبحا وحدهما في حجرة مكتبه ، ثم قال بعد فترة طويلة من الصمت :

— والآن .. هاتِ ما لديك .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :
— هل تظن نُحطَّتْ هذه المرّة خالية من الشغرات ؟

اعتدل (ياكوف) ، وهو يقول في صرامة :
— لا شك لدى في هذا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :
— اسمح لي إذن أن أقول إنها تحوى ثغرة كبيرة ، لم تنتبه أنت إليها .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في توثر :
— أية ثغرة هذه ؟

أشار (أدهم) إلى وجهه ، وقال في هدوء :
— هذه ليست ملامحي الأصلية .

ابتسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :
— يالها من خدعة ساذجة هذه المرّة أيها المصري !! هل نسيت أنني أعرف ملامحك الأصلية جيّدًا ، منذ اعتقلناك في (سيبيريا) .

قال (أدهم) في هدوء :
— كما تشاء .

ثم مدّ يده ، وانتزع فجأة قناعًا يحمل ملامحه من فوق وجهه ، ومن أسفله ظهر قناع آخر ، جعل (ياكوف) يتراجع في ذهول ، فقد كانت ملامح القناع الجديد تحمل وجهه هو .. وبدقة مذهلة ..

وفي غمرة هذه المفاجأة المذهلة ، قفز (أدهم) فجأة غُبر المكتب ، وهوى بقبضتيه المضمومتين ، اللتين تضمهما الأغلال الحديدية على فلك (ياكوف) .

أخذ (إيفانوف) يسير في قلق جيئة وذهاباً ، أمام حجرة
(ياكوف) ، ثم بلغ انفعاله ذروته ، عندما فُتح باب
الحجرة ، وظهر (ياكوف) على عتبة ، فأسرع إليه
(إيفانوف) ، وسأله في توثر :

— هل أدلى إليك باعترافه ؟

هزّ (ياكوف) رأسه نفيًا ، وأجاب :

— لقد تظاهر بذلك ، ثم هاجمني بغتة ، ولكنني أفقدته

الوعي .

هتف (إيفانوف) في دهشة :

— أفقدته الوعي .

أشار (أدهم) ، الذي يتحلل شخصية (ياكوف) ، إلى

داخل الحجرة ، وقال :

— لقد نجحت في ذلك هذه المرة ، وها هو ذا .

تطلع (إيفانوف) إلى (ياكوف) ، الذي وضع

(أدهم) القناع الذي يحمل ملامحه فوق وجهه ، ورأى

الأغلال التي نقلها (أدهم) إلى يدي (ياكوف) ، وقال :

— ماذا نفعل به ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :



قفز (أدهم) فجأة عبر المكتب ، وهوى بقبضتيه المضمومتين ،

اللتين تضمهما الأغلال الحديدية على فكّ (ياكوف) ..

— ضعه في إحدى زنانات الإدارة ، حتى أعود إليه
غدا .

سأله (إيقانوف) في اهتمام :

— هل ستصرف الآن ؟

أجابه وهو يتحرك مغادرا المكان :

— نعم .. إننى أشعر بإرهاق شديد .

تطلع إليه (إيقانوف) في حيرة وهو ينصرف ، ثم التفت
إلى أحد الجنود ، وقال في صرامة :

— هيا .. ألقوا بهذا الشيطان في إحدى زناناتنا ، حتى
صباح الغد .



١٢ — الطريق إلى الحرية ..

في الطريق الموصل ما بين مدينة (ليننجراد) السوفيتية ،
والحدود الفنلندية .. تطلعت النقيب (منى توفيق) في ساعة
يدها بقلق ، ثم هزت رأسها في توتر ، وهى تقول :

— إنها الثانية عشرة ظهرا ، وهو لم يصل بعد .. أخشى أن
يكون قد فشل في الهروب .

ازدرد (قدرى) لعابه ، وغمغم :

— (أدهم) قادر على الإفلات من الموت نفسه ، ثم إن كل
شيء معد ، ولا ينقصنا سوى توقيع واحد من (ياكوف) ،
فنقلده ، وننتقل إلى الحرية .

غمغمت (منى) ، وكأنها تحدث نفسها :

— كل شيء ؟!

أجاب (حازم) :

— نعم أيتها النقيب .. لقد نجحنا في الوصول إلى هنا
بجوازاتنا ، التى تحمل الجنسية اليوغوسلافية ، والتى أضاف إليها

صديقنا القدير (قدرى) تأشيرة دخول إلى الأراضى
الفنلندية .. كما أننا نحمل تصريحاً خاصاً بمرورنا عبر الحدود
السوفيتية ، ولا ينقصه — كما قال صديقنا (قدرى) — سوى
التوقيع .

هتفت (منى) فى حلق :

— ليس هذا ما يشغلنى ، وإنما أنا قلقة على (أدهم) و
بترت عبارتها فجأة ، حينما تناهى إلى مسامعها صوت
هليوكوبتر تقترب ، ولم تلبث أن لاحت فوقهم ، وبدأت تدور
حول نفسها ، وكأنها تهم بالهبوط ، فهتف (قدرى) فى مرح :
— يا إلهى !! .. هليوكوبتر عسكرية ؟ .. أراهن أنه
(أدهم) .. يا له من رجل !!

استقرت الهليوكوبتر فوق الأرض ، على بعد أمتار قليلة
منهم ، ثم فتح بابها ، وظهر على عتبة (ياكوف) ، الذى
تطلع إليهم مبتسماً ، ثم هبط من الهليوكوبتر ، واقترب منهم
بخطوات هادئة ثابتة ، فابتسم (حازم) ، وقال :

— (أدهم) يجيد تمثيل دور (ياكوف) بإتقان مذهل ..
ولولا معرفتى أنه ينتحل شخصيته ، لأقسمت أن القادم نحونا
هو (ياكوف) نفسه .

أطلق (قدرى) ضحكة خافتة ، على حين عقدت (منى)
حاجبها ، وهى تتمعن فى وجه القادم ، ثم تراجعت فى حدة ،
وهتفت بصوت مسموع :

— يا إلهى !! .. إنه (ياكوف) حقاً .

التفت (حازم) و (قدرى) إليها فى دهشة ، ثم عادا
يحدقان فى وجه القادم ، الذى أجابهم فى هدوء :

— إنها محقة أيها السادة .. أنا (ياكوف) الأصيل .

ومن داخل الطائرة ، برز فجأة عشرة من الجنود السوفيت ،
صوبوا مدافعهم الرشاشة إلى صدور أفراد الخبايا المصرية
الثلاثة ، على حين استطرد (ياكوف) فى شماته :
— أعتقد أنها نهاية الرحلة يا سادة .

كان الموقف محبطاً للغاية ، حتى أن (حازم) و (قدرى)
قد شعرا بسخط شديد ، على حين هتفت (منى) فى دُعر :
— أين (أدهم) ؟ .. ماذا أصابه ؟

ابتسم (ياكوف) ، وقال :

— إنه شيطان رفيقك هذا يا سيدي .. واطمئنى ، فهو
الآن مطلق السراح ، وينتحل شخصيتى فى مهارة .. ولقد كاد

يبعدني عن الأحداث تمامًا ، لولا أن استعدت وعيى في اللحظة المناسبة ، ولم يكن من العسير إثبات شخصيتى .. ثم درست الأمر في هدوء ، فوجدت طريقًا واحدًا ، يمكنكم اجتيازه ، للخروج من البلاد .. وهنا قرّرت أن أسبق شيطانكم إلى هنا ، والهللو كوبر كما تعلمون أسرع كثيرًا من السيارة .
تنهّدت (منى) في ارتياح ، وهتفت :

— إذن فهو مطلق السراح .. حمدًا لله .
تطلّع إليها (ياكوف) في دهشة ، ثم هزّ رأسه في حيرة ، وقال :
— تدهشنى كثيرًا تلك الروابط العجيبة بينكم يا أفراد المخابرات المصرية ، فالواحد منكم لا يبالي بمصيره ، في سبيل الآخرين .. هذا مدهش حقًا .

أسرع (حازم) يقول :
— لاصلة لنا بالمخابرات المصرية أيها الرفيق .
تطلّع إليه (ياكوف) لحظة ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وقال :

— لم تُعد هناك فائدة من الإنكار يا رجل .. لقد أصبحنا نلعب جميعًا بأوراق مكشوفة .
ثم أردف في خشونة :

— والآن .. متى وعدكم هذا الشيطان المصرى بالحضور ؟
قالت (منى) في حق :
— يمكنك أن تقتلنا ، ولكنك لن تحصل منّا على كلمة واحدة .

ابتسم (ياكوف) في سخرية ، وقال :
— حسنًا يا سيّدى .. إننى لن أقتلكم ، ولكننى سأنتظر معكم وصول شيطانكم هذا .
وفجأة .. انبعث من الطائرة صوت ساخر يقول في هدوء :
— اطمئن .. إنك لن تنتظر كثيرًا أيها الرفيق .

كثيرة هي المفاجآت التى تعرّض لها (ياكوف) في هذه العملية ..

كثيرة حتى أنه كاد ينهار ، حينما رأى أن قائد الهليو كوبر ، التى أقلّته إلى هنا ، لم يكن سوى (أدهم صبرى) نفسه ، الذى كان يصوّب مسدسه إلى الجنود العشرة ، وهو يتبسم في سخرية ، وهتفت (منى) في حرارة :
— (أدهم) ؟! .. حمدًا لله .
غمغم (ياكوف) في إحباط :

أجابه (أدهم) في هدوء :

— لقد فهم كل منا الآخر جيدًا يا عزيزي (ياكوف) .. حتى أنني أيضًا ، أصبحت أجد استنتاج خطواتك .. وكنت أعلم بالطبع ، أن المسافة من (موسكو) إلى هنا أطول من أن أقطعها بالسيارة ، قبل أن تكشف أنت أمرنا ؛ لذا فقد اكتفيت بمغادرة إدارة مكافحة التجسس ، ثم أفقدت قائد الهليوكوبتر الخاصة بك وعيه ، وانتحلت شخصيته ، وانتظرت ، وأنا واثق من أنك ستفضل الذهاب بالهليوكوبتر ، اختصارًا للوقت .. ولقد كان .

تغلب (ياكوف) على أثر المفاجأة في سرعة ، وانتصبت قائمه ، وهو يقول في صرامة :

— لن أسمح لك بالفرار الآن أيها المصري .

ثم صاح في جنوده :

— أطلقوا النار يارفاق .. سيرقى من يقتله منكم .

استدار الجنود في سرعة البرق ، وانطلقت رصاصات مدافعهم الرشاشة العشرة في آن واحد ، واختلط صوت الرصاصات بصرخة دُعر ، انطلقت من بين شفتي (منى) .

١٣ — الصراع الأخير ..

انهمر سيل من الرصاص على (أدهم صبرى) ، وأطلق هو رصاصاته ..

كان من المستحيل حقًا أن تواجه رصاصات مسدسه الثمانية ، عشرة جنود بمدافعهم الرشاشة ؛ لذا فقد نزع (حازم) و (منى) مسدسيهما ، وشاركاه في إطلاق النار ..

أطارت رصاصات (أدهم) المدافع الرشاشة ، لسته جنود في الثانية الأولى ، ثم شعر برصاصة تخترق صدره ، من جانبه الأيمن ، وبثانية تعبر ذراعه ، ثم رأى رصاصات (منى) و (حازم) تصيب جنديين سوفيتين ، فرفع ذراعه اليسرى ، وهو يهتف :

— كلاً يا رفاق .. لا تطلقوا الرصاص على ظهورهم .

وفجأة احترقت رصاصة ثالثة فخذيه ، فتهأوى ساقطًا على ركبتيه ، وانتهر (ياكوف) فرصة سقوط (أدهم) ، وجزع رفاقه ، فأطار مسدس (حازم) و (منى) برصاصات مسدسه ، ثم صاح في رجاله :

— سيطروا على الموقف يا رفاق .

القط الجنود مدافعهم الرشاشة ، وصوبوها إلى (أدهم) ، الذى أصبح عاجزاً عن القتال ، من كثرة ما ناله من رصاصاتهم ، وإلى (حازم) و (منى) ، اللذين فقدوا سلاحهما ، وإلى (قدرى) ، الذى اهتز جسده البدين ، وهو يغمغم فى حلق :

— يا إلهى !! إن طعم الهزيمة مُرّ حقاً .. لقد أفقد شهيتى تماماً .

وقف (ياكوف) يتأمل انتصاره الحقيقى لأول مرة ، وهو عاقد حاجبيه ، وكفيه خلف ظهره ، ثم توقفت نظراته عند وجه (أدهم) ، الذى لم تفارقه ابتسامته الساخرة ، على الرغم من إصاباته البالغة ، ثم رفع عينيه إلى (حازم) ، وسأله فى هدوء :

— كيف كنتم تنوون مغادرة الاتحاد السوفيتى ؟

أجابه (حازم) فى بساطة :

— كنا سنزور توقيعك على تصريح مرور .

أطرق (ياكوف) برأسه لحظة ، ثم عاد يسأل (حازم) :

— ومن منكم سيفعل ذلك ؟

أجابه (قدرى) فى تحد :

— إنه أنا .

تطلع إليه (ياكوف) فى هدوء ، وب نظرة تخلو من العداء تماماً ، ثم مَدَّ يده إليه ، وقال :

— أين هذا التصريح ؟

ناول (قدرى) التصريح ، فتأمل (ياكوف) فى اهتمام ، ثم ابتسم ، وأخرج من جيبه ورقة ، فردها أمام وجه (قدرى) ، وهو يقول :

— ها هوذا توقيعى أسفل هذه الورقة .. هل يمكنك تقليده ؟

وبدلاً من أن يحبه (قدرى) ، اكتفى بنظرة طويلة على التوقيع ، ثم تناول قلمه ، وذيل التصريح ، بتوقيع يصعب تمييزه عن توقيع (ياكوف) الأصل ، وفى بساطة متناهية .. فابتسم (ياكوف) ، وقال :

— هذا رائع .

ثم التفت إلى جنوده ، وقال فى صرامة :

— انقلوا هذا الجريح إلى سيارة رفاقه .. سأقودهم وحدى إلى أقرب نقطة حراسة .

سأله أحد الجنود في دهشة ، وكأنه يحاول التأكد مما
سمعه :

— وحدك يا سيدي الرفيق الجنرال ؟

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— نعم .. وحدي أيها الرفيق الجندي .

جلس (حازم) و (منى) في المقعد الخلفي للسيارة ،
منهمكين في تضييد جروح (أدهم) ، على حين جلس
(قدرى) بجسده البدين في المقعد الأمامي ، إلى جوار
(ياكوف) ، الذي كان يقود السيارة بنفسه ، دون أن يلتفت
إلى راكبيها ، وكأنه يوليهم ثقته المطلقة .. فانحنت (منى) على
أذن (أدهم) وهمت :

— إنه مغرور .. يمكننا أن نهزمه و

قاطعها (أدهم) ، وهو يقول في صوت مرتفع :

— تحذئي بصوت مسموع يا عزيزتي .. فصديقنا (ياكوف)

لا ينوى إيذاءنا بالمرّة .

نقل الجميع أبصارهم في دهشة ، بين (أدهم)

و (ياكوف) ، الذي قال في هدوء :

— كيف عرفت أيها الرفيق (أدهم) ؟

أشار (أدهم) إلى الطريق ، وقال :

— إنك تقود السيارة نحو الحدود الفنلندية ، وليس

العكس .

ساد الصمت لحظة ، ثم أردف (أدهم) :

— دغني أنا أسألك ، لم فعلت ذلك ؟

خيم على جو السيارة صمت ثقيل ، ثم أجاب

(ياكوف) :

— لست أدري أيها الرفيق (أدهم) .. ولكنني اتخذت

هذا القرار ، عندما سمعتك تهتف برفاقتك ، طالبًا منهم عدم

إطلاق النار على الجنود في ظهورهم ، في حين أن هؤلاء الجنود

يطلقون النار عليك .

صمت مرّة ثانية ، ثم أردف :

— لقد رأيت في حياتي صورًا عديدة للشهامة

والفروسية ، ولكنها المرّة الأولى التي أرى فيها مثل هذا

الموقف ، ورجل مثلك أيها الرفيق (أدهم) ، لا يستحق مني

سوى الإعجاب والاحترام فقط .

ثم أوقف السيارة ، واستطرد في هدوء :

— لديكم الآن تصريح مرور يحمل توقيعًا يشبه توقيعى ،
وسؤكد الخبراء بعد فراركم أنه مزور .. كما أن أحدًا لن يشك
في أقوالى ، حينما أقول إنكم باغتمولى ، وأفقدتمولى الوعى ،
وفررتم في أثناء غيوبتى .

أسرع (حازم) يحتل مقعد القيادة ، على حين بدا
(ياكوف) مهمومًا ، وهو يقول لـ (أدهم) :

— أنا لست خائنًا لوطنى أيها الرفيق (أدهم) ، ولكنى
أجد نفسى عاجزًا عن إيدائك .

حاول أن يتسم ، ولكنه فشل وهو يستطرد :

— لست أدري لماذا ؟ .. ربما لأنك أعدت لى ابتى فى
شهامة لم أعهد لها فى عالمنا .. أو ربما لأنك أعظم رجل مخابرات
رأيت فى حياتى .. حقيقة لست أدري .

ثم أشار إلى الطريق ، وقال :

— والآن انطلقوا .. قبل أن أبدل آرائى .

هبط (أدهم) من السيارة ومدّ يده يصافح (ياكوف)

فى حرارة ، على الرغم من جروحه الخطيرة ، وقال فى
احترام :

— لن أنساك أبدًا أيها الرفيق (ياكوف) .. وأريد منك
أن تتذكر دائمًا أنه هناك صديق لك فى مصر ، لن ينسى أبدًا
موقفك هذا .

تبادل الرجلان نظرة عميقة ، ثم عاد (أدهم) إلى
السيارة ، التى انطلقت أخيرًا نحو الحرية ، تاركةً (ياكوف)
خلفها ، يتابعها ببصره وهو يغتمم :

— وداعًا يا رجل المخابرات المصرى .. وداعًا يا أعظم
رجل مخابرات فى العالم .



١٤ — الختام ..

ازدحت حجرة (أدهم صبرى) ، فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادي ، بالزائرين من رجال إدارة المخابرات العامة المصرية .. يهنئونه بسلامة العودة ، وبالشفاء من جراحه الخطيرة .. وقال مدير المخابرات ، وهو يرتب على كتف (أدهم) :

— لقد كانت عملية رائعة يا (أدهم) ، وإن أثارت أعصابنا لأربعة شهور كاملة .

ابتسم (أدهم) وهو يغمغم :

— ولكنها نجحت يا سيدى .

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

— أنت تنجح دائماً يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) ، ثم عاد يسأل مدير المخابرات فى اهتمام :

— هل عرفت ماذا أصاب (ياكوف) ؟

مطّ مدير المخابرات شففيه فى أسف ، وقال :

— لقد استقال من عمله ، دون أن يطالبه أحد بذلك .

ظهر الحزن على وجه (أدهم) ، وقال :

— كم يؤسفنى ذلك يا سيدى .. إنه رجل رائع .. مخلص

لوطنه ومبادئه ..

أوما مدير المخابرات برأسه موافقاً ، وقال :

— ربما كان إخلاصه هذا هو سبب استقالته ، فربما أن

ضميره لم يحتمل البقاء فى منصبه ، بعد أن عاونكم على الفرار .

قال (أدهم) :

— لقد فعل ما أملاه عليه ضميره — آنذاك —

يا سيدى .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، ثم أشار إلى

الآخرين ، قائلاً :

— آن موعد العودة إلى الإدارة يا رجال ، فينبغى أن نترك

المريض يرتاح قليلاً .

غادر الجميع حجرة (أدهم) ، عدا (منى) ، التى

ابتسمت فى خجل ، وهى تقول :

— أتمنى لك الشفاء العاجل يا (أدهم) .

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

— أنا أيضًا أتمنى الشفاء العاجل ، حتى يتم زواجنا
يا عزيزتى .

جذقت فى وجهه بدهشة ، وهتفت فى عجب :

— زواجنا ؟!.. من أوحى لك بهذه الفكرة ؟

عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يقول :

— أنت يا عزيزتى .. لقد وافقت على الزواج منى فى

السفارة المصرية عندما

قاطعته (منى) فى جدة :

— لست أذكر أننى فعلت .

غمغم (أدهم) فى خيرة :

— ولكن يا (منى) .

ابتسمت فى خبث ، وقالت :

— لا تنس أننى لم أستعد ذاكرتى كلها بعد .

ابتسم فى مكر مماثل ، وقال :

— ومتى ستستعيدين لحظة أعطيتنى هذا الوعد ؟

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وقالت :

— لست أدرى .

سألها فى حنان :

— هل تعدين بإخبارى ، وقتما تستعيدين كامل ذاكرتك ؟

فهمت مايرمى إليه ، من إعفائها من الحرج .. فقبضت

على كفه بأصابعها الرقيقة ، وقالت فى عاطفة :

— من يدري يا (أدهم)؟.. ربما كان ذلك أقرب مما

تتصور ، ولكننى أعدك .. أعدك يا (رجل المستحيل) .

[تم بحمد الله]

باسم

www.dvd4arab.com